موجز السيرة النبوية بثوب إداري

خِبراتُ النَبِيِّ ﷺ الإِدارِيَّة

قَبلَ البِعثَةِ، والفَترَةِ المَكِّيَّةِ، والفَترَةِ المَدَنِيَّة

أ. د. سَمِير الشَّاعِر

أستاذٌ جامعيٌّ وخبيرٌ ماليٌّ إداريٌّ وشرعيٌّ

1444هـ - 2023م

بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ على أشرف المرسلين مُحمَّد، وعلى آله وصحبه الغُرِّ المَيَامِين، وبعد؛

إنَّ النبيَّ مُحمَّد ﷺ، مختارٌ محفوظٌ بحفظ الله تعالى له، وفي حياته من الدروس والعبر ما يفيد كلَّ راغبٍ بالتزوُّد بما ينفع دنياه وآخرته، ومجال الكتاب **بشريَّة** النبيِّ مُحمَّد ﷺ، المشار إليها في القرآن في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ١١٠﴾ (1) [الكهف:110]،

والحديث:" حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْلَمَةَ، عَنْ مَالِكٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ زَيْنَبَ ابْنَةِ أَبِي سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم قَالَ:" إنَّما أنا بَشَرٌ، وإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ أَلْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّارِ." (2)

بشريَّتُه ﷺ محطُّ تساؤل إنساني، **كيف واجه يُتْمَهُ، وحَفِظَ شبابَه؟ وكيف أكتسب عيشَه؟ وكيف اختصَّ بالقدرة على مواجهة المشكلات؟** حتى اتَّصف قبل البعثة بالصَّادق الأمين، **وكيف واجهة محاربة الدعوة؟** في بيئةٍ طِيب الخصال الإنسانية مستغرَبة، والظلم والعدوان فيها يكادان يكونان هما الأصل.

---

(1) جامع البيان في تفسير القرآن، الطبري (ت 310هـ): يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا مُحمَّد: إنَّما أنا بشر مثلكم من بني آدم، لا علم لي إلا ما علمني الله، وإنَّ الله يوحي إليّ أنَّ معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، معبود واحدٌ لا ثاني له، ولا شريك {فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ} يقول: فمن يخافُ ربَّه يوم لقائه، ويراقبه على معاصيه، ويرجو ثوابه على طاعته {فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً} يقول: فليخلص له العبادة، وليفرد له الربوبية. https://www.greattafsirs.com.

(2) البخاري (7169)، الدرر السنية،https://dorar.net/ .

وكيف استطاع تخليص المجتمع الوليد في المدينة من كيد اليهود، وإيذاء أبيّ ابن أبي سلول رأس المنافقين؟ وغيرها من التساؤلات التي يسألها كلٌّ منَّا لنفسه.

هذه القدرة الإنسانية والنفسية القوية أنموذجاً يُحتذى، وهذا الكتاب بمثابة إضاءة بسيطة على بداية درب رجل اختار لنفسه الرفعة قبل البعثة، وسِعة الصَّدر، وتحمُّل الأذى، وواسع الحصافة بعدها.

المحتويات

المبحث الأول: خبرات النبيّ ﷺ قبل البعثة

من المفيد جداً عند تناول أيّ أمرٍ، الإحاطة به تاريخاً وحاضراً ومستقبلاً، ففنُّ الإدارة يكمن بإتقان هذه المراحل، فبها ومعها يَحسُن (1) التشخيص السليم، (2) واتِّخاذ القرار المناسب (3)، وتوقُّع القادم، والإداري المتميز يتدرَّج بين ثلاثتها.

مكَّة قبل ولادة النبيّ ﷺ

أشهر ما تُعرف به مكَّة بين النَّاس، من الآية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ ﴾ [إبراهيم:37]

مكَّة تاريخياً (1)

يسجل التاريخ أنَّ جُرهُماً من ديار العمالقة (2) أتوا من اليمن مع الحضرميين نحو تهامة فارِّين من القحط، وطالبين الماء والرعي، وفي طريقهم وجدوا هاجر مع ابنها إسماعيل فنزلوا أسفل مكة، ثم تزوَّج إسماعيل منهم (3)، وقام بشؤون هذا المجتمع، وخلفه من بعده أبناؤه وأحفاده، وقسِّمت الولاية بين أولاد إسماعيل بمكَّة وأخوالهم من جُرْهُم. (4)

---

(1) محمَّد معمري، مكَّة وعلاقتها التجارية مع شمال وجنوب الجزيرة العربية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2006م.

(2) ينسب بن خلدون العمالقة إلى أحد أبناء عمليق بن لاوذ من أبناء يقطن بن شالخ بن أرفخشد.

(3) عبد الرحمن بن خلدون كتاب العبر ودوان للمبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني، 1956م، 683/2، منقول بتصرف.

(4) ابن خلدون المصدر السابق، ص 686، والقلقشندي، صبح الأعشى، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1922 م، 261/4.

وحدث أن تصدَّع سدُّ مأرب في جنوب شبه الجزيرة العربية، فكان السَّيل العرم، فتفرَّقت القبائل اليمنية فيها، ومنها من قدم إلى مكَّة وضايق أهلها، وبلغت تلك المضايقة حدَّ النزاع الحربي بقيادة عمرو بن عامر. وبعد نزاعهم تفرَّقوا، فبقيَ ابنه عثمان بمكَّة، بينما توجَّهت فرقة إلى عُمَان، وهم أَزدُ عُمَان، وسار ثعلبة بن عمرو بن عامر نحو الشَّام، ونزلت الأوس والخزرج المدينة، وغسَّان الشَّام، وتولَّت خزاعة (وهم قوم ربيعة بن حارثة بن عمرو بن عامر) أمر مكَّة وحجابة الكعبة. (1)

وكان أوَّل من تولَّى منها، عمرو بن لحي، الذي اشتهر وذاع صيته وعَلَت مكانته بين العرب في أنَّه جلب الأصنام للبيت. وهذا الأخير الذي كان له الفضل الكبير على أهل مكَّة، فبفضله يقصدها الناس من أنحاء العالم للحج، وعُرف هذا البيت بالبيت العتيق "وقادس، وبادر، والكعبة." (2)

واستمرَّت خزاعة على الولاية مدة ثلاثة قرون، وكان آخرها حُلَيْل بن حُبْشية ابن سلول الذي زوَّج ابنته حُبىَّ من قصيٍّ بن كلاب. (3)

مكَّة اقتصادياً (4)

وفي عهد قُصَيٍّ شهدت مكَّة تَوسِعةً كبيرة، وعُنِي بتنظيمها خيرَ عناية، حتَّى أضْحَت في زمانه مدينةً عامرة مستطيلة المساحة ذات شعاب واسعة.

---

(1) الأزرقي، أخبار مكَّة، 8/1

(2) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، مكتبة النهضة، بغداد، 1971م، ج 4، ص7.

(3) تاريخ اليعقوبي، ط1، بريل 1969، ج1، ص 37، وابن هشام، السيرة، القاهرة 1955، ق1، ص 117.

(4) د. فهمي توفيق محمد مقبل، تاريخ مكَّة المكرمة عبر العصور، مجلة الدرعية: العددان 42 / 43، جمادى الآخرة، رمضان 1429هـ، يونيو/تموز–سبتمبر/أيلول 2008، نقلاً عن موقع: https://www.alukah.net/culture/0/32146، بتصرف.

فقد كان العرب حتَّى في جاهليَّتهم، يرَوْن مكَّة، منذ نشأتها، بقعةً مقدَّسة، يشدُّون إليها الرِّحال من كلِّ أرجاء جزيرة العرب، كما أنَّ وادي مكَّة احتَفَظ بمكانته الحيويَّة كمحطَّة مهمَّة لمرور قَوافِلِهم التجاريَّة، بين اليمن وبلاد الشَّام خاصَّة، **وسوق رئيسة لهم لوقوعه وسط الطريق بين شمال الجزيرة العربيَّة وجنوبها من ناحية،** فضلاً عن غِناه بعيون الماء الوفيرة الَّتي تحتاج إليها القوافل التجاريَّة في حلها وترْحالها بين اليمن جنوباً والشام شمالاً من ناحِيَة أخرى، ومن المعروف أنَّ قريشًا **احتَكَرَتْ** منذ نهاية القرن السَّادس الميلادي، **تجارة الهند** بفضْل جهود زعيمِها هاشم بن عبد مناف، جَدِّ عبدِالله والد النَّبي ﷺ الَّذي يُعَدُّ أوَّل مَن سَنَّ رحلة قريش، (الإيلاف) [1] رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصَّيف إلى الشَّام.

لا ريب أنَّ مكة أدَّتْ، قبل الإسلام، **دورَ الوسيط الناجح والمُحايِد بين عالمين،** فموقعها الجغرافي من ناحية، وحفاظها على حياديَّتها من ناحيةٍ أخرى، حقَّق لها مكانةً عظيمة في هذا الميدان الاقتصادي، ويَكفِي دليلاً على ذلك أنَّ **الإمبراطوريَّة الرومانيَّة الشرقيَّة (بيزنطة)** استَعانت بتجَّار مكَّة الكِبار من القرشيِّين، كوسطاء أُمَناء للتجارة، بنقْل مُنتَجات الهند والصِّين إلى أسواقها.

ومن واردات مكَّة المهمَّة؛ الأتاوى التي كانت تَفْرِضُها قريش على التجَّار الأجانب، وعلى العرب الَّذين لا يرتَبِطون معها بحلفٍ، من أهمِّ هذه الضَّرائب ضريبة العشور، وفي الوقْت الَّذي:

1. كان يقوم فيه تجَّار بلاد الشَّام يحملون معهم إلى مكَّة القمح والزُّيوت والخمور ومصنوعاتهم المتنوِّعة، كان لِمُتْرِفِيهم مجالس للسَّمر ينصبون لها الأرائِك،

(1) الإيلاف (العهد والأمان – إجازة مرور) في العلاقات التجارية "الدولية"، وهو العهْد الَّذي أَخَذَه هاشم بن عبد مناف له ولإخوته من ملوك الدُّوَل القريبة والبعيدة من مكَّة.

ويمدُّون فيها الموائد، ويَتَفكَّهون بما طاب من ثِمارهم، ويتلذَّذون بفَواكِه الطَّائف الطَّازجة أو مجفَّفات الشَّام وفلسطين المستوردة لمتاجرهم.

2. كان تجَّار الجنوب يَحمِلون معهم حاصِلات الهند: من ذهَب، وأحجار كريمة، وعاج وخشب الصندل، والتوابل، والمنسوجات الحريريَّة والقطنيَّة والكتانيَّة، والأرجوان والزعفران والأواني الفضيَّة والنُّحاسيَّة، هذا إلى جانب ما كانوا يَحمِلونه معهم من منتجات إفريقيا الشَّرقيَّة واليمن؛ كالعطور والأطياب، وخشب الأبنوس، وريش النَّعام، واللُّبان والأحجار الكريمة، والجلود. [1]

3. وكان لتجَّار مكَّة في الوقت نفسه تجارةٌ رابحة مع الحبشة والصومال، تتمُّ بواسطة طريقٍ بحري، حيث كان لمكَّة ميناء على البحر الأحمر يُعرَف بميناء الشعيبة، أمَّا العملة الَّتي عرفَتْها مكَّة والحجاز عمومًا فكانت الدِينار والدِرْهم.

ولعلَّ من أهمّ الصِّناعات التي اشتَغَل بها أهل مكَّة: (1) صناعة الأسلحة من سيوف ودروع ورماح ونبال وسكاكين، (2) كذلك صناعة الفخَّار من أباريق وصِحاف وقدور، (3)، فضلاً عن صناعة الأَسِرَّة والأرائك. ولصِلات أهل مكَّة التجاريَّة بالشُّعوب والقبائل والأُمَم القريبة والبعيدة، ازدادوا فهمًا بأهميَّة التجارة البينيَّة والدوليَّة مع تأثُّرهم واقتِباسهم للمَظاهِر الحضاريَّة، من اجتماعيَّة وثقافيَّة التي عرَفُوها من الرُّوم والفرس. [2]

بعد وفاة قُصَيٍّ انتقَلَت الرِّئاسة إلى ابنه عبد الدَّار، إلى أنْ تفرَّقت الرِّياسة في أبناء عبد مناف (شقيق قصيّ) فتصدَّرها هاشم بن عبد مناف، وانتهت الزعامة في قريشٍ بعد وفاة هاشِمٍ إلى ابنه عبد المطلب، المعروف باسم شيْبَة الحَمْد، الذي آلَتْ إليه

---

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب قبل الإسلام، الإسكندريَّة: مؤسَّسة شباب الجامعة، د. ت. ص 314 – 316، وأحمد السباعي، "تأريخ مكَّة، دراسات في السياسة والعلم والاجتماع والعمران"، ط6، ج1، مكَّة المكرمة: مطبوعات نادي مكَّة الثقافي، 1984م، ص 23 – 26 و36 وما بعدها.

(2) سالم، المرجع السابق، ص312 – 314، أيضًا السباعي، المرجع السَّابق، 44/1 وما بعدها، موسوعة المعرفة العالمية، ترجمة دار الأهرام، م9، القاهرة: الناشر دار ترادكسيم، جنيف، د.ت، ص1569 – 1571.

الرفادة (إطعام الحجاج أيَّام الموسم وسقايتهم) ظَلَّتْ سدانة الكعبة في بني عبد المطلب يَتوارَثونها في الجاهليَّة والإسلام إلى اليوم. [1]

البيئة التي وُلِد فيها النبي مُحمَّد ﷺ

وُلِد النبيُّ ﷺ في مكَّة، تلك العاصمة الاقتصادية المتيقظة المتحفِّزة، التي ترعى مصالح الأقوياء والأغنياء فيها، وتعمل للحفاظ على مكانتها بين الأمم، وليس بين العرب فقط. تولَّى إدارة شؤونها "مجلس حكم" يسهر على مصالح أعضائه ومن يمثُّون، ولا يفرِّط بشيء من نفوذهم. وبالمقابل لم يكن للفقراء شيء، فالرجال تحت وطأة الحاجة فجأة يتحوَّلون لعبيد، والنِّساء، حتَّى العفيفات منهنَّ، يتحوَّلْنَ تحت نفَس السلطان الغاشم إلى بغايا في بيوت ترتفع عليها رايات خاصة. وحتَّى أصنام الكعبة، لم يكن الفقراء من بين ما تهتم به. فهي بيئة لم يكن للفقراء من يحميهم، لا القانون، ولا العُرف السائد، ولا التقاليد التي أسَّسها هذا المجلس. ومنها أنَّهم قضوا بأنَّ:

1. من مات في مكَّة من التجار الأغراب ورثته مكَّة، ورثه الذين كانوا يتعاملون معه في مكَّة من تجار قريش! وأصبحوا هم المالكون، وهم الوارثون!
2. من يستدين يقدِّم إلى دائِنهِ رهناً عزيزاً عليه، وكان الرجل أحياناً يرتهن ولده أو أمرأته أو نفسه، فإذا حلَّ موعد أداء الدَّيْن، وجب على المَدين أن يدفع أضعاف ما استدان. فإنْ عجز، كان المَدين ينزل للدَّائن عن زوجته، أو عن أمِّه، أو عن ابنته، أو عن زوجة ابنه، فيلتحق نساء المَدينين بالتجارة الشائنة التي تُجلب لها الفتيات البيض والسُّود والسُّمر من كل بلاد الأرض، ليَبِعْنَ المتعة للتُّجار الوافدين، أو لمن يدفع من فتيان قريش الأثرياء. ويقتضي الدَّائن دَيْنَه ممَّا تكسبه امرأة المَدين أو ابنته في هذه المهنة الشائنة. فإذا استوفى دَيْنَه أعاد الفتاة

(1) د. فهمي توفيق محمد مقبل، تاريخ مكَّة المكرمة عبر العصور، https://www.alukah.net/culture/0/32146.

لأهلها! وكم من رجال آخرين خشوا أن تأتي عليهم أيام تمرِّغ أنوفهم في هذا الوحل، فتخلَّصوا من بناتهم بعد الولادة على الفور.!

وأضحى أهل مكَّة:

1. إمَّا تجاراً يستوردون ويصدرون ويبيعون لأهل الواحات والمدن المنتشرة في الجزيرة العربية،
2. وإمَّا وسطاء في المبادلات بين التجَّار العابرين،
3. وإمَّا أصحاب أموال يوظِّفون أموالهم في مشاركة التُّجار الصِّغار نظير حصَّة من الأرباح،
4. وإمَّا تجَّار للفاحشة الشائنة،
5. وإمَّا مرابين يكسبون من الرِّبا.

وهؤلاء جميعاً هم الذين يملكون الثروة في مكَّة، وهم يملكون إلى التجارة والأموال، البساتين في الواحات المجاورة التي تنتج النخيل والأعناب وتُربَّى فيها الخنازير، وتُستقطر من ثمراتها الخمور. [1]

ولادة النبيّ ﷺ [2]

1. **تاريخ مولده:** وُلد النبيُّ في يوم الإثنين الثاني عشر من شهر ربيعٍ الأول، لقوله ﷺ لما سُئِل عن صيام يوم الإثنين: "ذَاكَ يَوْمٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَوْمٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ

(1) عبد الرحمن الشرقاوي، محمد رسول الحرية، دار الشروق، مصر، د.ت، ص16 وما بعدها، بتصرف.

(2) شيرين أحمد، أين ومتى وُلد الرسول ﷺ، https://mawdoo3.com.

عَلَيَّ فِيهِ." [1]، وجاء عن قيس بن مخرمة رضي الله عنه أنَّه قال: وُلِدْتُ أنا والنَّبيُّ عامَ الفيلِ. [2]، وكان مولده في بداية النهار عند طُلوع الفجر. [3]

أمّا تاريخ مولد النبيّ بالميلاديّ؛ فكان في الثاني والعشرين من شهر إبريل/ نيسان، في عام خمسمائة وواحدٍ وسبعين للميلاد. [4]

2. **مكان مولده:** وُلد النبيُّ ﷺ بمكّة المكرمة في شِعِب أبي طالب، ويُسمَّى أيضاً بِشِعب بني هاشم؛ لحصار قُريش لبني هاشم فيه ببداية الدعوة [5]، كما يُسمَّى أيضاً بِشِعب أبي يوسف، ويُعرف في الوقت الحالي بِشِعب عليّ، وهو أحد الأماكن التي سكنها بنو هاشم قبل البعثة، ويقع بين منطقة أبي قُبيس من جهة اليسار، وجبال الخنادم من جهة اليمين، ويوجد فيه بالوقت الحالي مكتبة مكَّة المُكرمة، ويبعُد عن المسجد الحرام بثلاثمئة متر. [6]

وُلد يتيماً ﷺ

شاءَت إرادة الله تعالى أن يكون نبيُّه ومصطفاه مُحمَّد بن عبد الله ﷺ يتيماً، ولم يكن يتيم الأب فقط، بل جمع عليه يُتْمَ الأبوين معاً. فمن المعلوم أنَّ الرسول ﷺ نشأ يتيماً

(1) مسلم، (1162) الدرر السنية، https://dorar.net/ .

(2) سنن الترمذي (3619)، موقع أحاديث الرسول، https://hadithprophet.com/hadith-61830.

(3) محمد بن يوسف الصالحي الشامي (1993)، سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوَّته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، ص 333، جزء 1. بتصرّف.

(4) صالح بن عوّاد بن صالح المغامسي، التعليق على الدرة المضيئة في السيرة النبوية للمقدسي، ص 10، جزء1. بتصرّف.

(5) محمد بن محمد حسن شُرَّاب (1411 هـ)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، ط1، دمشق: الدار الشامية، ص150. بتصرّف.

(6) عاتق بن غيث بن زوير بن زاير بن حمود بن عطية بن صالح البلادي الحربي،1980م، معالم مكَّة التأريخية والأثرية، ط1، مصر: دار مكَّة للنشر والتوزيع، ص 145، جزء 1. بتصرّف.

بعيداً عن تربية أبيه، وأمِّه، وجدِّه. إذ إنَّ والده قد توفي وهو في بطن أمِّه، وقضى معظم فترة طفولته الأولى ببادية بني سَعد بعيداً عن أسرته كلها، ثمَّ ما لبث أن تُوفِّيَت أمُّه، ولم يمكث معها سوى مدَّة يسيرة، وبعدها بمدَّة يسيرة توفِّي جدُّه عبد المطَّلب. [1]

خبرات اليُتْمِ

الحكمة الربَّانية وراء يُتْمِ النبيِّ ﷺ، لا يعلم حقيقتها إلا الله. ولكنَّنا كبشر، ننظر للأمر من زاوية الإضافة والإيجابية. فمولودٌ عمره أيام ينتقل إلى البادية ليستكمل رضاعته، فيه من الفوائد الشيء الكثير؛ ليس أوَّلها التنشئة في بيئة نقيَّة أو تغذية عضوية، بل يُضاف لها مكوِّنات البيئة المحيطة بالرَّضيع منها:

- أجواءٌ طبيعة سليمة نقية تساعد على صياغة صحية متميزة جسدياً ونفسياً،
- مهنٌ ليس أوَّلها الرَّعي، ولا آخرها الصناعات المحلية،
- علاقاتٌ إنسانية ثنائية وجماعية يسودها الإصرار على مقاومة الظروف والنَّجاح،
- التمرُّس على النُّهوض بأعباء الحياة ولو بعيداً عن العائلة،
- اللسان العربي القويم.

وواقعاً فقد فاز الحبيب المصطفى ﷺ بكل هذا وزيادة، وكان له أخوة من الرَّضاع. [2]

(1) صلاح شمس الدين، جريدة اللواء، بيروت، 08 تشرين الأول 2018، https://aliwaa.com.lb، بتصرف.

(2) كان من عادة أشراف قريش أن يدفعوا بأطفالهم إلى مراضع من البادية، رغبة في تنشئة أولادهم على القوة والشجاعة، والفصاحة والبلاغة، ومن ثم التمسوا للنبي ﷺ بعد ولادته مرضعة من البادية ترضعه. وقد ذكر أهل السِيَر أنَّ مرضعات النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم اللاتي تشرَّفن برضاعته ثلاث نسوة، **إضافة إلى أمه آمنة بنت وهب**. قال ابن القيم في زاد المعاد: "فصل في أمهاته ﷺ اللاتي أرضعنه: فمنهنَّ **ثويبة مولاة أبي لهب**، أرضعته أياماً، وأرضعت معه أبا سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي بلبن ابنها مسروح، وأرضعت معهما عمَّه حمزة بن عبد المطلب. ثمَّ أرضعته **حليمة السعدية** بلبن ابنها عبد الله أخي أنيسة، وجدامة وهي الشيماء، أولاد الحارث بن عبد العزَّى بن رفاعة السعدي. وأرضعت معه ابن عمِّه أبا سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وكان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، ثم أسلم عام الفتح، وحسُن إسلامه، وكان عمُّه حمزة مسترضِعاً

ومن خبراته العملية في بني سعد:

- أنْ رعى الماشية وعلم الكثير عنها في الحرِ، والقرِّ، الخصب، والجدب.
- اتقنَ فنون التأمُّل، والصَّبر، والنَّظر في الأمور بمنظور غير فردي.
- أتقن مناهج أهل البادية في الضيافة، والاستقبال، والنصرة، والاكتساب بجانب الرَّعي.
- قضى طفولته مع أقرانه من أبناء بني سعد، وكان له عائلة من الرَّضاعة كما له مثلها من النَّسب.
- عاش وعايش نسج وامتداد العلاقات الإنسانية، وعرف الكثير عن الأنساب.
- مارس الرياضات الفطرية مع أقرانه، وشهد رياضات البالغين في البادية.

عودته إلى مكَّة من بني سعد

أدرك العيش مع أمِّه: عاش النبيُّ ﷺ فترة غير طويلة مع أمِّه آمنة بعدما عاد من بادية بني سعد، كان ختامها سفره مع أمه إلى المدينة. لمَّا بَلَغَ رسولُ الله ﷺ سِتَّ سنينَ، خرجَتْ به أُمُّه السيِّدةُ آمنةُ بنتُ وهبٍ إلى أخوالِه بني عَديّ بن النَّجَّار تَزورُهم به، ومعه حاضِنَتُه أمُّ أيمنَ، وهم على بَعيرَين، فنَزَلَت به أُمُّه في دارِ النابغةِ عند قبرِ أبيه عبدِ الله بن عبدِ المُطَّلِب، فأقامَت به عند أخوالِه شهرًا، ثم رَجَعَت به أُمُّه إلى مكَّةَ. فلمَّا كانوا بالأبواءِ توُفِّيَت أُمُّه آمِنةُ بنتُ وهبٍ، ورَجَعَت به أُمُّ أيمنَ، واسمُها: بَرَكةُ بِنتُ ثَعلَبةَ بنِ حِصنٍ، وكانت أمُّ أيمنَ تحبُّ النبيَّ ﷺ حُبًّا شديدًا وتَعتني به غايةَ الاعتِناءِ، وتَحوطُه برِعايَتِها وشَفقَتِها. وكان النبيُّ ﷺ يَبَرُّها ويُحسِنُ إليها، ولمَّا كَبِرَ ﷺ أعتَقَها، ثم

في بني سعد بن بكر، فأرضعت أمَّه رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمِّه، فكان حمزة رضيع رسول الله ﷺ من جهتين: من جهة ثويبة، ومن جهة السعدية". مرضعات الرسول ﷺ، https://www.islamweb.net/ar/article/214897، بتصرف.

أنكَحَها زيدَ بنَ حارِثةَ رضي الله عنه الذي أنجَبَت منه أُسامةَ بنَ زيدٍ، وقد توُفّيَت أمُّ أيمنَ بعدما توفِّي رسولُ الله ﷺ بخَمسةِ أشهُرٍ. [1]

خبراته:

- زار أخواله واطَّلع على ثقافة أهل المدينة،
- علم وعاين أين وكيف مات أبوه،
- جاور الوباء وشاهد أمَّه تقضي به أيضاً،
- عاد إلى مكَّة بين يدي أمِّ أيمن يتيم الأبويين،
- خَبِر الحزن على أحد الوالدين.

1. **أدرك أيام جدِّه الأخيرة** [2]: لمَّا تُوفِّيتِ آمنةُ والدةُ الرسول ﷺ وعُمُرُه ستُّ سنواتٍ، صارت كَفالَتُه إلى جدِّه عبدِ المطلب بن هاشِمٍ، وكان عبدُ المطلب ذا شَرفٍ في قومِه وفَضلٍ، وكانت قُريشٌ تُسمِّيه الفضلَ؛ لسَماحتِه وفضلِه، وتولَّى أمْرَ الرِّفادةِ والسِّقايةِ بعد موتِ أبيه هاشمِ بن عبد مَنافٍ. وكان عبدُ المطلب يُحِبُّ حفيدَه مُحمَّدًا حبًّا عظيمًا، ويُقدِّمُه على سائرِ بنيه، ويَرِقُّ عليه أكثَرَ مِن رِقَّتِه على أولادِهِ.

مكانة النبيِّ ﷺ لدى جدِّه: قال ابنُ إسحاقَ: "وكان رسولُ الله ﷺ مع جدِّه عبد المطلب بن هاشم "يعني: بعدَ موتِ أُمِّه آمنةَ بنتِ وَهبٍ"؛ فكان يُوضَعُ لعبد المطلب فِراشٌ في ظلِّ الكعبة، وكان بَنوه يَجلِسون حول فِراشِه ذلك حتى يَخرُجَ إليه، لا يَجلِسُ عليه أحدٌ مِن بنيه إجلالًا له؛ فكان رسولُ الله ﷺ يأتي وهو غُلامٌ جَفْرٌ (أي: ممُتلِئٌ قويٌّ) حتى يَجلِسَ عليه؛ فيأخذُه أعمامُه ليؤخِّروه عنه؛ فيقول

(1) وفاة أم النبي آمنة بنت وهب وحضانة أم أيمن له ﷺ، الموسوعة التاريخية، الدرر السنية، https://dorar.net/ .

(2) كفالة عبد المطلب رسول الله ﷺ ومعرفته بشأنه، الموسوعة التاريخية، الدرر السنيَّة، https://dorar.net/ .

عبدُ المطلب إذا رَأى ذلك منهم: دَعوا ابني؛ فوالله إنَّ له لَشأنًا، ثم يُجلِسُه معه على فِراشِه، ويَمسَحُ ظهرَه بيدِه، ويَسُرُّه ما يراه يَصنَعُ".

وكان عبدُ المطلب لا يَأكلُ طَعامًا إلَّا يقولُ: "عَلَيَّ بابني!" فيُؤتَى به إليه. ولمَّا حَضَرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالبٍ بحِفظِ رسولِ الله ﷺ وحياطَتِه.

خبراته:

- اقترب من مجالس الحكم وشهد نقاشاتها.
- شهد حكمة جدِّه ومناقبه، ولمس مكانته في قريش.
- استمع إلى أصول وآداب الحوار في الأمور المهمة.
- عاين مصالح الأغنياء ومشاكل الفقراء وبيئة الأعمال.
- اختزن عقله الباطن أصول إدارة مكَّة وتنظيم مصالح أهلها.
- عرف الانتقال من سعة البحبوحة إلى شغف العيش مع عمِّه أبي طالب.

شبابه مع عمّه أبي طالب

1. **رعيَ الغنم:** كان النبيّ ﷺ يعمل برعي الغنم عندما كان يعيش مع عمِّه، حيث كان عمُّه فقيراً قليل المال، وكثير الأبناء، فكان ذلك دافعاً للنبيّ ﷺ حتى يساعده. وقد كان العمل برعي الغنم مهنة قام بها جميع الأنبياء عليهم السلام، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّه قال ﷺ:" ما بعثَ اللَّهُ نبيًّا إلَّا رعى الغنمَ قالوا: وأنتَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: نعَم كنتُ أرعاها علَى قراريطَ لأَهْلِ مَكَّةَ." [1] وقد كان في العمل برعي الغنم للأنبياء حِكم وفوائد عديدة؛ فهذه المهنة تتطلَّب الصَّبر، والعدل والمساواة، وتحمُّل مسؤولية الرعية وقيادتهم، وفي ذلك تمهيد لحمل الرسالة والصَّبر على

(1) البخاري (2262)، وابن ماجه (2149) واللفظ له، الدرر السنية، https://dorar.net/ .

الدعوة ومشاقِّها. [1] وقد اجتهد النبيُّ في هذه المهنة في صِباه؛ فكان يرعى الغنم لأهله ولأهل مكَّة، وضُرب فيه المثل في كسب رزقه، وإعالة نفسه، وسعيه منذ صغره. [2] وكان ذلك في سنٍّ مبكرة منذ بلغ الثامنة حتى الخامسة عشر من عمره، ثم بدأ يشتغل مثل غالبية أهل مكَّة بالتجارة.

خبراته:

- عدم التقاعس، والسعي في طلب الرِّزق.
- الاكتساب بجهده، وعدم التواكل.
- الاعتماد على الذَّات، والنهوض بمسؤولياته.
- الإحساس الفطري السليم بظروف من حوله.
- الرِّضا عن الذَّات، والتسليم بقدر الله في البحبوحة والشدَّة.
- الصَّبر على المشاقِّ في الصحراء، ومتطلبات المهنة.
- الرَّعي يتيح للنَّفس والعقل التفكُّر، والتأمُّل، والاستمتاع بخلق الله.
- تعلُّم فنون إدارة الجموع، لناحية التقسيم والقيادة والمتابعة.
- فنون تأمين الاحتياجات وتوقيتاتها.
- انتقاء الطرق والأماكن المناسبة للحال.
- اليقظة والتنبُّه للشَّارد، أو الغازي، أو الضَّرر القريب منه والبعيد.
- الحرص على السلامة في النَّفس والمال والأصحاب.
- الجهوزية لردِّ العدوان المفاجئ، وحماية الممتلكات.

---

(1) أحمد أحمد غلوش، السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، ط 1، ص 216-218، بتصرّف. نقلاً عن: عمل الرسول عندما كان يعيش مع عمه، https://mawdoo3.com.

(2) محمد أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ط 8، دمشق: دار القلم، ص 209، جزء 1. بتصرّف. نقلاً عن: عمل الرسول عندما كان يعيش مع عمه، https://mawdoo3.com.

- حُسن السياسة والتدبير حتى بلوغ الأهداف.
- أداء الأمانة في المال والعمل، ومتطلباتهما.
- الرَّحمة والتعاون مع الصَّغير، والكبير، والضعيف، والقوي من الحيوان والإنسان
- التواضع، والاستفادة من التجارب، والتعلُّم من الآخر وإفادته.

2. **العمل بالتجارة:** كانت أول رحلة يخرج فيها الرسول ﷺ في التجارة الى الشام، عندما كان عمره تسع سنوات، فطلب من عمِّه مرافقته، فوافق وأخذه معه، وعندما أصبح شاباً قوياً، وبلغ عُمره العشرين، شاركه في التجارة رجلاً اسمه السَّائب، حيث كان يقول عن النبيِّ ﷺ: "نِعمَ الشريك كنتُ لا تُداري، ولا تُماري." (1)

اشتهر الرسول ﷺ بالصِّدق والأمانة، حتى وصفته قريش بالصَّادق الأمين. وكان في مكَّة سيدة أرملة اسمها خديجة بنت خويلد، تزوَّجت اثنين من سادة قريش، ثمَّ ماتا عنها، فكانت أكثر النِّساء جمالاً ومالاً، ولإدارة تجارتها الكبيرة كانت تستأجر الرجال عن طريق المضاربة، أي تجعل لهم نسبة من الرِّبح يتَّفقون عليها، كان أكثر ما يهمُّها هو البحث عن رجل أمين يحافظ على مالها، فسمعت عن الصادق الأمين، فأرسلت إليه، ثم عرضت عليه أن يخرج بتجارتها إلى اليمن، فوافق الرسول

---

(1) صحيح ابن ماجه (1867)، الدرر السنية، https://dorar.net/. هذا الحَديثُ يُوضِّحُ جانبًا من حَياةِ النبيِّ ﷺ قبلَ البَعثةِ؛ حيثُ كان يُتاجِرُ في بعضِ الأموالِ، وكان يشارِكُ الناسَ في تِجاراتِهمْ، ولكنَّه ﷺ كان يَنتقي الناسَ الذين يَتعاملُ مَعهم؛ لِيَكونوا أكثرَ مناسبةً لأخلاقِه الكريمةِ، وفيه يقولُ السائبُ بنُ أَبي السائبِ: "أتيتُ النبيَّ"، أي: ذَهبتُ إليهِ بعدَ الهجرةِ إلى المدينةِ، "فجَعلوا يُثنونَ عليَّ ويَذكُروني"، أي: فبدأَ الناسُ يَذكرونَ محاسِنهَ للنبيِّ ﷺ ويذْكرونَه بالخيرِ؛ ظنًّا مِنهم أنَّ النَّبيَّ ﷺ لا يعرِفُه، فقالَ رسولُ اللهِ: "أنَا أعْلَمُكم– يعني به–"، أي: عِندي عِلمٌ ومَعرفةٌ بهِ سابقةٌ؛ نظرًا لِمَا كانَ بَينهم مِن بَيعٍ وشِراءٍ، فقالَ السائبُ للنبيِّ ﷺ: "صدقْتَ بأبي أنتَ وأُمِّي"! أي: فِداكَ أَبي وأُمِّي؛ "كنتَ شَريكي فنِعمَ الشَّريكُ"، أي: كنتَ شَريكي في تِجارتي قبلَ ذلكَ ونعلمُ من خِصالِ بعضِنا ما يُغني عن التعريفِ، وقدْ كنتَ "نِعمَ الشَّريكُ"، وهذا مَدحٌ لأخلاقِه؛ "كنتَ لا تُدارِي"، أي: لا تخالِفُ ولا تُمانِعُ في معاملاتِكَ مَعي، "ولا تُماري"، أي: لا تجادِلُ ولا تماطِلُ، وهذا مِن حُسنِ الخلقِ وحُسنِ مُعاملةِ الناس. وهذه الصِّفاتُ المذكورةُ اختُلِفَ في قائلِها وفي صاحبِها الموصوفِ بها؛ فقد ذَكرُ بعضُ العلماءِ أنَّ النبيَّ ﷺ هو الذي يذكرُ صِفاتِ شَريكِه، وقال آخرونَ: إنَّ الرجُلَ هوَ الذي يذكُر صِفاتِ النبيِّ ﷺ معَه في شراكتِه.

ﷺ على عرضها، وخرج عدة مرات بتجارتها إلى اليمن والشام، وكان معه ميسرة، وهو غلام عبد عند خديجة، في كل رحلة تجارية، فأحبَّ ميسرةُ النبيَّ ﷺ من مواقفه لما عُرف من حُسن أخلاقه، وكان يحدِّث سيِّدته خديجة عن ذلك، فوجدت في مالها البركة التي لم تجدها من قبل. بعد عودة الرسول ﷺ من الشام، لم ينقطع عن التجارة، حيث كان يتاجر في أسواق مكة القريبة، مثل: سوق عكاظ، مجنة، وذي المجاز، حيث لم تكن التجارة غايته إلا من أجل قوت يومه.

خبراته:

- صقل مهاراته البيع والشراء، والتفاوض والنقاش، وحسن اختيار أوقاتها.
- مواجهة الصِّعاب وحلُّ المشكلات، سماع الآراء وحُسن الردِّ عليها.
- زيارة البلدان والمواطن المختلفة، والتعرُّف على حضارات وثقافات أهلها.
- الاختلاط بأنواع وصنوف التجار والأسواق.
- القدرة على التعامل مع مختلف أصناف البشر، كبيرهم وصغيرهم، غنيِّهم وفقيرهم.
- التعامل مع الجموع في مواضع مشهودة.
- تنمية المرونة النفسية والعقلية.
- تراكم الخبرات التجارية والإنسانية.

خروج النبيّ مع عمِّه للتجارة: (1) سافر النبيُّ ﷺ مع عمِّه أبي طالب إلى الشام، وكان عمره اثنا عشر سنة للتجارة، (2) حيث أراد النبيُّ ﷺ أن يدرس شؤون التجارة التي يمارسها كبار تجَّار مكَّة. وافق عمُّه على خروجه مع القافلة من شدَّة رغبته وإصراره

(1) نوال العتال، قصة الراهب بحيرى مع الرسول قبل البعثة، https://mawdoo3.com، بتصرف.

(2) محمد بن إبراهيم الحمد، كتاب قصة البشرية، ص 18. بتصرّف.

على ذلك، [1] وفي السَّفر رآه الرَّاهب بَحِيرَى، وهو راهب نصراني، وقيل إنَّه حَبر من أحبار يهود تيماء.

- ما لاحظه الرَّاهب بَحِيرَى أثناء مسير النبيّ ﷺ. نزل أبو طالب والنبيُّ ﷺ في بُصرى، وكانت بالقرب من الرَّاهب بَحِيرَى، فدعاهم إلى صومعته، ولم يكن يدعوهم إليها من قبل عندما كانوا يمرُّون عليه، وسبب ذلك هو الغمامة التي ظلَّلت النبيَّ ﷺ طول الطريق لتحميه من الحرِّ، وهذه معجزة من الله تعالى. فأخذ بَحِيرَى يتأمَّل النبيَّ ﷺ وينظر إلى بعض الأجزاء من جسده، ويلاحظ صفات كان يجدها في كتب عنده، وبعد ما تناولوا الطعام قام بَحِيرَى إلى النبيِّ ﷺ وسأله عن بعض الأمور، فكانت إجابتها متوافقة مع ما عنده، وأخذ ينظر إلى بين عينيه، ثم كشف على ظهر النبيّ ﷺ فرأى خاتم النبوَّة، وكان كما وُصف عنده، فقبَّل موضِع خاتم النبوَّة. [2]
- حديث الرَّاهب مع عمِّ النبيِّ: أخبر بَحِيرَى عمَّ النبيّ ﷺ أبا طالب بنبوَّته، وقال: هذا سيِّد العالمين، هذا يبعثه الله رحمةً للعالمين، وأنَّه قد عرَفه من خاتم النبوَّة، وهذا موجود في كتابه، وقد طلب من أبي طالب إرجاعه إلى مكَّة خوفاً عليه من اليهود. [3]

خبراته:

- السَّماع والاكتساب لأمور لم يعايشها في مكَّة.
- مهارة السَّفر للتجارة، ومهارات تدبير شؤون الذَّات.

---

(1) محمد أبو زهرة، كتاب خاتم النبيين ﷺ، ص 126. بتصرّف.

(2) إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس وآخرون، كتاب الموسوعة الموجزة في التاريخ الإسلامي، ص 969. بتصرّف.

(3) الزرقاني، محمَّد بن عبد الباقي، كتاب شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، ص 363. بتصرّف.

- التعرُّف على منقولات ومنتجات القوافل في التجارية والذهاب والإياب.
- التعرُّف على أصحاب الأموال المتاجرة، وأمهر الأجراء، وبيئة حراس القوافل.
- الانسجام مع فريق العمل (القافلة).
- التعرُّف على بلدان، وقبائل، وثقافات، وكذا دروب التجارة.
- لقاء شخصيةٍ من أتباع نبيٍّ سابق، والاستماع لكلامه وملاحظاته.
- التعمُّق بما أشار به الرَّاهب بَحِيرَى، خاصة بعد استجابة عمُّه لطلبه والعودة لمكَّة.
- التشبُّع بفكرة أنُّه مختلف ومأمول منه ما يُصلح العباد والبلاد.
- ربط ما قال الرَّاهب مع ما صاحب ذلك لاحقاً من سلام الحجر والشَّجر عليه.

حرب الفِجَار وحلف الفضول [1]

1. **حرب الفِجار**: بعد حرب ضروس افترق فيها العرب بسبب الحميَّة والعصبيَّة، اصطلحوا وانفضَّ القتال، ثم انتفض فضلاء العرب لإقامة حلف يناصر كل مظلوم وضعيف حتَّى يمنعوا نشوب خلافات أو حدوث استضعاف أو ضياع حقوق. وهذا الحلف ذكره ﷺ بعد البعثة وأثنى عليه خيراً، وكان ﷺ وقت هذه الأحداث في سنِّ العشرين.

قال المباركفوري في الرَّحيق المختوم: حرب الفِجَار وفي السنة العشرين من عمره ﷺ وقعت في سوق عُكاظ حرب بين قريش ومعهم كنانة . وبين قَيْس عَيْلان، تُعرف بحرب الفِجَار. وسببُها أنَّ أحد بني كنانة، واسمه البَرَّاض، اغتال ثلاثة رجال من قيس عيلان، ووصل الخبر إلى عكاظ فثار الطَّرفان، وكان قائد قريش وكنانة كلها

(1) مع الحبيب ﷺ حرب الفِجَار وحلف الفضول، طريق الإسلام، http://iswy.co/e2alit.

حرب بن أمية؛ لمكانته فيهم سِنّاً وشرفًا، وكان الظَّفر في أوَّل النهار لقيس على كنانة، حتَّى إذا كان في وسط النهار كادت الدائرة تدور على قيس.

ثمَّ تداعى بعض قريش إلى الصُّلح على أن يحصوا قتلى الفريقين، فمن وُجد قتلاه أكثر أخذ دية الزائد. فاصطلحوا على ذلك، ووضعوا الحرب، وهدموا ما كان بينهم من العداوة والشرِّ. وسُمِّيَت بحرب الفِجار؛ لانتهاك حُرمة الشَّهر الحرام فيها، وقد حضر هذه الحرب رسول الله ﷺ، وكان ينبل على عمومته؛ أي يجهِّز لهم النَّبل للرَّمي.

خبراته:

- شهد الحرب وقسوتها.
- شارك بشجاعة في دفع العدوان، وعاون أعمامه، ونصر أهله.
- تعلَّم فنون الحرب وجولاتها، ومتى تكون لك أو عليك.
- عرف خريطة التنافر بين القبائل وانقساماتها.
- أدرك أنَّ حماية المصالح الاقتصادية شيء رئيس.
- عاين آثار الحرب الحالية والسابقة على القبائل والأسواق.
- شاهد الرُّعب في نفوس الأهالي، ومن ليس لهم ناقة فيها ولا جمل.
- تفكَّر في أسباب الحرب وآليَّات منعها.
- أتقن نصرة المظلوم، وردع الظالم، ومناصرة الحقِّ.

2. **حلف الفضول** وعلى أثر هذه الحرب، وقع حلف الفضول في ذي القعدة في شهرٍ حرام، تداعت إليه قبائل من قريش: بنو هاشم، وبنو المطلب، وأسد بن عبد العزَّى، وزهرة بن كلاب، وتيم بن مرَّة، فاجتمعوا في دار عبد الله بن جُدْعان التيمي؛ لسِنِّه وشرفه، فتعاقدوا وتعاهدوا على ألا يجدوا بمكَّة مظلومًا من أهلها وغيرهم من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على مَن ظلمَه حتى تُردُّ عليه مظلمته، وشهد هذا

الحلف رسول الله ﷺ. وقال بعد أن أكرمه الله بالرسالة: "لقد شهدتُ في دار عبد الله بن جدعان حلفًا ما أحبُّ أنَّ لي به حُمُر النِّعم، ولو أُدعى به في الإسلام لأجبتُ".

خبراته:

- عرف أهميَّة الصُّلح على حياة الأفراد والمجتمعات.
- فرح بحلف يدعو إلى حجب الدماء ومناصرة المظلوم.
- لمس أهميَّة العدل والقيم الإيجابيَّة.
- نَعِم وأقرَّ ثمار التعاون والتحالف وكل طيِّب.
- أهميَّة حماية التجارات وتنظيم الأسواق، ودفع الفساد والمفسدين.
- حفظ البلاد من ويلات الحروب.
- أهميَّة توطين السَّلام للقريب والبعيد. (1)

زواجه من السيدة خديجة (2)

عندما كان رسول الله ﷺ في الخامسة والعشرين من عمره، خرج في تجارة إلى بلاد الشام، وكانت القافلة آنذاك تحمل أموال السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها؛ فقد كانت من أهل التجارة في قريش، وكانت ذات مال ونسَب رفيع، وكانت تتاجر بأموالها، وتستأجر رجالًا ليشاركوها الربح مضاربةً.

وكان قد بلغها ما هو عليه رسول الله ﷺ من صدق، وأمانة، وأخلاق حميدة كان يتحلَّى بها، فأرسلت في طلبه، وعرضت عليه أن يخرج في قافلتها للتجارة في بلاد الشَّام، على

(1) استرشدت ببعض أفكار من: د. طارق سويدان، حلف الفضول ورفض الظلم، https://suwaidan.com.

(2) سندس المومني، قصة زواج الرسول ﷺ من خديجة، عن صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص13 وما بعدها، https://mawdoo3.com، بتصرف.

أن تعطيه مقابل عمله معها، وترسل معه غلامًا لها اسمه مَيسَرة، فوافق النبيُّ ﷺ على ذلك، وخرج إلى الشَّام.

بعد عودة رسول الله ﷺ إلى مكَّة، وانتهائه من رحلة التجارة، عاد مَيسَرة إلى السيدة خديجة بنت خويلد وأخبرها بما رأى من صفات حميدةٍ في رسول الله. ولاحظت أمُّ المؤمنين البركة في مالها، وأمانته وحرصِه عليه، فرأت فيه الزوج الأمين الذي لا يطمع بالزواج منها كغيره من السَّادة والكبار، وتزوَّجا.

وكانت خديجة أمُّ المؤمنين أوَّل زوجات رسول الله ﷺ وكانت أفضل نساء قومها، وأرفعهنَّ نسبًا، وأكثرهنَّ حكمة. ولم يتزوج رسول الله ﷺ بامرأة غيرها حتَّى توفِّيَت رضي الله تعالى عنها.

تجلَّت محبَّة النبيِّ ﷺ لزوجته خديجة بنت خويلد رضي الله تعالى عنها في مواقف عديدة، وقد كان حريصًا على ذكرها ووصلها والثَّناء عليها حتى بعد وفاتِها. وكان يبرُّ صديقاتها.

وكان يعدُّ حبَّها له رزقًا من الله تعالى، حيث جاء في الصحيح أنَّ النبيَّ ﷺ قال: حَدَّثَنَا سَهْلُ بْنُ عُثْمَانَ، حَدَّثَنَا حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ، عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ مَا غِرْتُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلاَّ عَلَى خَدِيجَةَ، وَإِنِّي لَمْ أُدْرِكْهَا. قَالَتْ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم إِذَا ذَبَحَ الشَّاةَ فَيَقُولُ:" أَرْسِلُوا بِهَا إِلَى أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ." قَالَتْ فَأَغْضَبْتُهُ يَوْمًا، فَقُلْتُ خَدِيجَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله عليه وسلَّم:" إِنِّي قَدْ رُزِقْتُ حُبَّهَا". [1]

---

(1) مسلم (2435)، والبخاري (3816) بنحوه، الدرر السنية، https://dorar.net/.

أنجبت السيدة خديجة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ ستَّة من الأبناء، ولدان هما: القاسم، وعبد الله؛ وأربع بنات هنَّ: زينب، ورقيَّة، وأمّ كلثوم، وفاطمة، عليهم السَّلام جميعاً. (1)

خبراته:

1. في التجارة:

- إقرار الخبراء بمهاراته التجارية، والإدارية، وصِدقه، وأمانته، واستقامته.
- الاعتراف بأنَّه مَلَكَ مفاتيح النظام السَّائد الاقتصادي، الاجتماعي، الإداري والسياسي.
- الارتقاء من الأجير إلى الشَّريك، وقبول منهجيَّته في العمل والتعامل.
- نشر ثقافة التجارة النظيفة من غير ظلم للعمَّال، أو غشٍّ للمشترين والشُّركاء.
- اتِّساع خبرات ومدارك التعامل التجاري والإنساني، وحُسن النُّهوض بالأمانة.
- زيادة شبكة علاقاته ومعارفه في مختلف القبائل، والمدن، والأسواق.
- تنمية المال كشريكٍ وندٍّ لكبار التُّجار المشهود لهم.

2. في الزواج:

- إعفاف النَّفس بصورة ومكانة اجتماعية راقية أقرَّها كبار القوم.
- الشعور بنعمة الذُرِّيَّة، والتعرُّف على مشاعر الحبِّ والأبوة.
- النهوض بمسؤوليات الأسرة والأبناء، وحُسن تربيتهم.
- حسن الإدارة والتنسيق بين التجارة، وأعباء الأسرة والبيت.
- النَّجاح في إدارة علاقة مؤسَّسة الزَّواج.

---

(1) سميحة ناصر خليف، السيدة خديجة زوجة الرسول، https://mawdoo3.com، بتصرف.

- مشاركة خبرات وحكمة وفطنة الزَّوجة، وفي مقدِّمها حلِّ المشكلات ومواجهة الصِّعاب.
- تجربة ألم وفاة الأبناء، وحُسن الرِّضا بقضاء الله.

مشاركته في بناء الكعبة

عقدت قريش العزم على تجديد بناء الكعبة؛ لحمايتها من الهدم بسبب السيول، واشترطوا بناءَها من الأموال الطيِّبة التي لم يدخلها أي نوعٍ من الرِّبا أو الظُّلم. وتجرَّأ الوليد بن المغيرة على الهدم، ثمَّ شرعوا بالبناء شيئاً فشيئاً إلى أن وصلوا إلى موضع الحجر الأسود، إذ وقع الخلاف بينهم في مَن سيضعه في موضعه، وتراضوا على قبول حكم أوَّل داخلٍ عليهم، وكان الرَّسول ﷺ، وأشار عليهم بأن يضع الحجر الأسود على ثوبٍ تحمله كلُّ قبيلةٍ من طرفٍ ليضعه في مكانه، وقبلوا بحُكمه دون خلافٍ، وبذلك كان رأي الرَّسول ﷺ عاملاً في عدم تنازع قبائل قريش، وعدم خلافها فيما بينها. [1]

خبراته:

- سرعة البداهة في اجتراح حلٍّ ارتضاه المتخاصمون.
- جنَّب القبائل شرارة النِّزاع والشِّقاق، وبالمقابل أقرُّوا له بالمكانة.
- قبول القبائل لشخصه ومواصفاته.
- الاستمتاع بثمار الصِّدق والأمانة.

(1) عبد السلام هارون (1406هـ - 1985م)، تهذيب سيرة ابن هشام، ط 14، الكويت: دار البحوث العلمية، ص 26-47. بتصرّف. نقلاً عن: براء الدويكات، بحث عن حياة الرسول منذ مولده حتى وفاته، https://mawdoo3.com. وكان عمر النبي ﷺ حينما وضع الحجر الأسود في مكانه - عندما تنازعت قبائل قريش لتحظى بذلك الشرف - خمسة وثلاثين عاماً.
https://www.islamweb.net/ar/fatwa/28720 .

- مساهمته في بناء الكعبة.
- أضحى من مراجع التحكيم على مستوى القبائل.
- اكتسابه خبرة إدارة الخلافات الجماعية بحُسن الاستماع وجمال المخرجات.

التعبُّد قبل البعثة

كان النبيُّ ﷺ يتأمَّل منذ صغره ما كان عليه قومه من العبادات الباطلة والأوهام الزائفة، التي لم تجد سبيلاً إلى قلبه، ولم تلقَ قبولاً في عقله، بسبب ما أحاطه الله تعالى به من رعاية وعناية لم تكن لغيره من البشر، فبقيت فطرته على صفائها، تنفر من كلِّ شيءٍ غير ما فُطرت عليه.

تلك الحال التي كان عليها ﷺ دفعت به إلى اعتزال قومه وما يعبدون من دون الله، إلا في حقٍ كمساعدة الضعيف، ونُصْرة المظلوم، وإكرام الضيف، وصلة الرَّحم. فكان يأخذ طعامه وشرابه ويذهب إلى غار حراء، كما ثبت في الحديث المتفق عليه أنَّه ﷺ قال: "جاورت بِحِراء شهراً..."، وحِراء غارٌ صغير في جبل النُّور على بعد ميلين من مكَّة، ولا ترى حول هذا الغار إلا جبالاً شامخة وسماءً صافية، تبعث على التأمُّل والتفكُّر.

وكان ﷺ يقيم في غار حِراء الأيام والليالي ذوات العدد، يقضي وقته في عبادة ربّهِ والتفكَّر فيما حوله من مشاهد الكون، وهو غير مطمئن لمَا عليه قومه، ولكن ليس بين يديه طريق واضح ولا منهج محدَّد يطمئنُّ إليه ويرضاه، وكان أكثر ما يقيم فيه خلال شهر رمضان المبارك، يترك أمَّ المؤمنين خديجة، وينصرف عنها، وينقطع بنفسه في هذا الغار للتفكُّر والالتجاء إلى الله جلَّ وعلا. [1]

(1) إسلام ويب، التعبد في غار حراء، https://www.islamweb.net/ar/article/14769، بتصرف.

حَدَّثَنَا زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، حَدَّثَنَا الأَوْزَاعِيُّ، قَالَ سَمِعْتُ يَحْيَى، يَقُولُ سَأَلْتُ أَبَا سَلَمَةَ أَىُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. فَقُلْتُ أَوِ اقْرَأْ. فَقَالَ سَأَلْتُ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ أَيُّ الْقُرْآنِ أُنْزِلَ قَبْلُ؟ قَالَ: يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. فَقُلْتُ أَوِ اقْرَأْ قالَ جابِرٌ: أُحَدِّثُكُمْ ما حَدَّثَنا رَسولُ اللهِ ﷺ، قالَ: **جاوَرْتُ بحِراءٍ شَهْرًا**، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوارِي نَزَلْتُ فاسْتَبْطَنْتُ بَطْنَ الوادِي، فَنُودِيتُ فَنَظَرْتُ أمامِي وخَلْفِي، وعَنْ يَمِينِي، وعَنْ شِمالِي، فَلَمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَنَظَرْتُ فَلَمْ أرَ أحَدًا، ثُمَّ نُودِيتُ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا هو علَى العَرْشِ في الهَواءِ، يَعْنِي جِبْرِيلَ عليه السَّلامُ، فأخَذَتْنِي رَجْفَةٌ شَدِيدَةٌ، فأتَيْتُ خَدِيجَةَ، فَقُلتُ: دَثِّرُونِي، فَدَثَّرُونِي، فَصَبُّوا عَلَيَّ ماءً، فأنْزَلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ٤ ﴾ [المدثر: 1 – 4].

خبراته:

- إتقان إنكار المنكر، وتنمية الفطرة الفكرية والنَّفسيَّة السليمة.
- انتهاج التساؤل بالحكمة، والاستدلال بالعقل والحسِّ السليم أنَّ الباطل باطل مهما تزيَّن.
- الخلوة مع الذَّات دون التقصير بحقوق البيت والأسرة أو التجارة.
- معرفة الصَّدر الحاني، والعقل الرَّاجح الذي يُلجأ إليه في الملمَّات.
- نعمة الصُّحبة المساندة عملياً ومعنوياً بما هو غير مألوف.
- تقبُّل النُّصح والاستماع للمشورة والأخذ بسليمها.
- مغالبة النَّفس على تقبُّل غير المعتاد والتهيُّؤ لما هو آت.

خلاصة إدارية: بالمنظور الإداري، اتَّصفت مرحلة ما قبل البعثة؛ بالإدارة الإنسانية والتجارية، العادية المتروِّية المتبصرة القابلة والمتقبلة للتغيُّر والتجديد، بمستوى أنيق مترفِّع عمَّا يحطُّ من قدر الإنسان.

المبحث الثاني: خبرات النبيِّ ﷺ بعد البعثة

(الفترتين: المكِّيَّة والمدَنيَّة)

تمهيد

بعد البعثة سنلاحظ أنَّ ممارسات النبيِّ ﷺ الإدارية سيحدث فيها تحوُّل وتطوُّر وارتقاء من التفكير البشري شبه المحض المترفِّع عن الرذائل إلى مستوى أدقّ وأرفع، وِفق تفكير المؤيَّد من ربِّ العالمين، لنشهد توظيف مختلف ما سبق اكتسابه وزيادة، وبإخراج ممزوجٍ بنكهة الرسالة إنسانياً وتشريعاً، ليضيف لمن عاصره ومن بعدهم إلى يوم القيامة مروراً بنا:

- أنَّ العدل والحقَّ هما الأساس، ولو تسلَّط أصحاب السلطان المالي والإداري، الاقتصادي والسياسي وتحكَّموا وحكموا.
- أنَّ العمق الإنساني والفطري مقدَّمان على المصالح والعصبيات.
- أنَّ الحياة الدُّنيا يليها حياة عُليا في الآخرة لمن أراد.
- أنَّ الشرع لا ما نستحدثه ليناسب مصالحنا، بل ما أراده الخالق لحفظ عموم المصالح "المصاحبة والسابقة واللاحقة" والخادمة لجميع الخلق "إنسان، طبيعة وحيوان"، وما هو به أعلم.

وعليه، فالمنهجيَّة الإداريَّة لم تَعُد تراعي شخصه وعائلته ومحيطه القريب، بل إنَّها ارتفعت إلى مستوى حفظ الرسالة والأُمَّة والمستقبل، وهو أبعد بكثير ممَّا نُسمِّيه إدارياً "الاستراتيجية" والتي تعتبر التخطيط للمستوى القريب في المستقبل.

وأيضاً سنلحظ مهارات القيادة الإدارية المبدعة المواكبة للمستجدَّات المتروِّيَة، قبل وجود بدائل المواجهة وبعدها، فقيادة مرحلة التأسيس والتنشئة، والمقدَّم فيهما مراعاة ومدارة فريق المؤمنين قبل الخصوم، ثم قيادة النهوض والاستمرار رغم قبيح سياسات الخصم، وبعدهما القيادة المفتوحة (بفنون القيادة المختلفة) الدالَّة على النُّضج واشتداد العود القادر على: (1) ردِّ العدوان عند الاضطرار بالمال والنَّفس والسياسة، (2) وبناء قيادات المستقبل.

البعثة

بعث الله سبحانه وتعالى رسوله مُحمَّداً ﷺ خاتم الرُّسل والأنبياء، بالدِّين الخاتم الخالد إلى يوم القيامة، دِين الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للبشر جميعاً، ليخرجهم من ظلمات "الجهل والشرك والكفر والظُّلم" إلى نور الهداية والإيمان، فجاء مُحمَّدٌ ﷺ مبشراً ونذيراً، يبشِّر النَّاس بالإيمان والرَّحمة والجنَّة، وينذرهم من الكفر والعصيان وعذاب النَّار، ويدلُّهم على كلِّ خير وهدى، ويأمرهم بتوحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة، ويحذِّرهم من الإشراك به، قال تعالى:﴿قُلۡ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ [الأعراف:158][1]

(1) علي غنيم، بعثة الرسول وحياته في مكَّة، السيرة النبوية، https://alseerahalnabaweyah.com/، بتصرُّف.

مراحل بعثة رسول الله [1]

تنقسم البعثة النبويَّة في تاريخها إلى عهدين أساسيين، لكلٍّ منهما أحداثه وطبيعته وخصوصيته، وهما العهد المكِّي والعهد المدنيّ، وفيما يأتي بيان لمحة عنهما: [2]

- **العهد المكِّي:** وقد بدأ هذا العهد في مكَّة المكرَّمة بعد نزول الوحي على النبيِّ ﷺ ودعا قومَهُ إلى الإسلام، لكنَّهم رفضوا ذلك وحاربوه وآذوه، وبدأوا بالتضييق على المسلمين وصبِّ العذاب عليهم، وكان المسلمون يعانون من الضَّعف وقلَّة العدد، واستمرَّت هذه المرحلة ثلاث عشرة سنة.
- **العهد المدني:** وبدأ هذا العهد بعد هجرة النبيِّ ﷺ وأصحابه من مكَّة إلى المدينة المنوَّرة، واستمرَّ عشر سنوات حتَّى وفاة النبيّ ﷺ، وفيه قوِيَ الإسلام وانتشر في الأرض وانتصر، ودخل النَّاس في دِين الله أفواجاً، وأسَّس النبيُّ ﷺ فيه نواة الدولة الإسلامية، وأنشأ مجتمعاً فاضلاً تسوده الأخوة والمحبَّة والتراحم، فقد آخى بين المهاجرين والأنصار، وقضى على العصبية الجاهلية، وجعل النَّاس سواسية، لا فرق بينهم ولا تميُّز إلا بالتقوى والإيمان.

المطلب الأول: الفترة المكِّيَّة (13 سنة)

تتَّصف الفترة المكِّيَّة بأنَّها فترة بدايات (ما قبل وخلال التأسيس وتمام الإعلان) الدعوة المحمَّدية، وقد تخلَّلتها المِحَن، والصِّعاب، والتحديات بصنوفها، إلا أنَّها كانت بمثابة زرع الحَبِّ وريِّه، وحصدت الفترة المدنية موفور الثِّمار.

---

(1) المباركفوي، الرحيق المختوم، ص 64. نقلاً عن: السيرة النبوية، https://alseerahalnabaweyah.com/، بتصرُّف.

(2) محمد أبو شهبة، السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة، ص 13 وما بعدها، بتصرُّف.

نزول الوحي [1]

كان أوَّل نزول للوحي في شهر رمضان بعد ثلاث سنوات من خلوته ﷺ في غار حِراء، [2] فإذا بجبريل عليه السَّلام يُفاجئه ويطلب منه ويقول: "إقرأ"، فيردُّ عليه مُحمَّد ﷺ: "ما أنا بقارئ"، فأخذه جبريل وضمَّه ضمَّة شديدة كاد يحبس أنفاس النبيّ ﷺ فيها وتركه، وقال له مرَّة أخرى: "إقرأ"، فأجاب رسول الله ﷺ: "ما أنا بقارئ" وقالها جبريل للمرة الثالثة، وكان جواب الرسول نفسه، فأرسله جبريل ثم قرأ قوله تعالى:﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ ٥ ﴾[العلق:1-5] [3] فعاد النبيُّ فزعاً لزوجته خديجة رضي الله عنها مُسرعاً لأنَّه خشيَ على نفسه، وأخبرها بما حدث، وطلب أن يُزمِّلوه؛ أيّ يُخفوه بثوبٍ ونحوه، وقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها ما حدث قائلة: "حتَّى دَخَلَ علَى خَدِيجَةَ، فقالَ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُوهُ حتَّى ذَهَبَ عنْه الرَّوْعُ"، [4] ولمَّا سمعت خديجة رضي الله عنها ما أخبرها به صدَّقته، وقالت له: "كَلّا أبْشِرْ، فَواللَّهِ، لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أبَدًا"، [5] فكانت خير صديقة ومواسية له، وكانت سبباً في ثباته، إذ بدأت تصفه بأجمل الأوصاف وتُذكره بأخلاقه الحسنة، [6] ثم ذهبت به رضي الله عنها الى ابن عمها ورقة بن

---

(1) عائشة الظفيري، تاريخ البعثة النبوية، https://mawdoo3.com، بتصرف.

(2) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ط 1، بيروت: دار الهلال، صفحة 55-56. بتصرُّف.

(3) ابن كثير، الفصول وسيرة الرسول، سوريا – دمشق: مؤسسة علوم القرآن، صفحة 94-97. بتصرّف.

(4) صحيح مسلم، (160)، الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، https://dorar.net/ .

(5) محمد سَعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، ط 25، دمشق: دار الفكر، صفحة 62-63. بتصرّف.

(6) ابن كثير، الفصول وسيرة الرسول، مرجع سابق.

نوفل وكان شيخاً عنده علم بالإنجيل، فأخبروه بما حدث لرسول الله ﷺ، فأخبرهم بأنَّ مَن أتاه هو نفسه الوحي الذي قدِم الى موسى عليه السَّلام. [1]

خبراته:

- المفاجأة؛ صَدْمتُها والتعامل معها.
- التأقلُم الفكري على سماع صوتٍ ليس لإنسٍ.
- المقاومة، فالتقبُّل، فتلاوةُ ما جاء به جبريل عليه السَّلام.
- مساندة زوجته له، وتثبيته وشدَّ أزره، ومناصرته، ومناصحته، وطلب المشورة له.
- سمع ما يثبته من ورقة بن نوفل، وأنَّه على درب موسى عليه السَّلام.
- إعادة الفكر والنَّظر في كلِّ ما سبق والتهيُّؤ لأمر سماوي.
- بدأ ربط ما كان يشعر ويفكِّر به مع ما استجدَّ ليعلم أنَّه كان يُهيَّؤُ لأمرٍ عظيم.
- أدرك أنَّه عليه إعادة صياغة ذاته نفسياً وفكرياً للنُّهوض بالمهمَّة.
- تهيئة النَّفس للخروج للنَّاس، وبدائل إبلاغهم بما أُمر به.

الأمر بالتبليغ [2]

انقطع عن النبيّ ﷺ الوحي، وفَتَر من بعد أوّل نزول، وقد ورد أنَّ الانقطاع كان لمدَّة أيام أو ستَّة أشهر ، وقيل لثلاث سنوات أو أقل، وكان الانقطاع لحكمة أرادها الله تعالى، وهي تهدئة نفس النبيّ من الرَّوع والخوف الذي أصابه، وليشتاق لرؤيته مجدَّداً، وليتيقَّن أنَّه أصبح نبيُّ الله ورسوله، وكان ﷺ قد قضى فترة انقطاع الوحي ينتظره، وكان يتردَّد للجبال يتحرَّى مجيئه. [3] ثم جاءَه جبريل عليه السَّلام مرَّة ثانية، وقد روى جابر بن

---

(1) حمد سَعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة، مرجع سابق.
(2) عائشة الظفيري، تاريخ البعثة النبوية، https://mawdoo3.com، بتصرف.
(3) صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، مرجع سابق.

عبد الله رضي الله عنه ما حصل لرسول الله بقوله: "أَنَّهُ سَمِعَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ يُحَدِّثُ عن فَتْرَةِ الوَحْيِ: فَبيْنَا أنَا أمْشِي سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّمَاءِ، فَإِذَا المَلَكُ الذي جَاءَنِي بحِرَاءٍ قَاعِدٌ علَى كُرْسِيٍّ بيْنَ السَّمَاءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ [1] منه حتَّى هَوَيْتُ إلى الأرْضِ، فَجِئْتُ أهْلِي فَقُلتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُونِي، فأنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ إلى قَوْلِهِ: ﴿فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: 1 - 5]، قالَ أبو سَلَمَةَ: والرِّجْزَ الأوْثَانَ، ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ" [2]، فكان مجيء جبريل فيه أمر له بإنذار النَّاس وإبلاغهم ودعوتهم إلى الله تعالى وتوحيده. [3]

خبراته:

- التساؤل الذاتي، هل انقطاع ما بدأ يعني أنَّه لم يكن أو شيء آخر.
- صراع النَّفس عمَّا كان، وما سيكون بانتظار جديد.
- الفرح بعودة جبريل وإسكات كل التساؤلات والأفكار الداخلية، وتهدئة النَّفس.
- التهيُّؤ للتعامل مع ما تبلَّغه من الآيات.
- إدارة تبليغ الأمر للنَّاس، كيف؟ وأين؟ وبمن البدء؟
- التفكُّر والتحسُّب لردود أفعال النَّاس الأغنياء، والفقراء، والحكَّام، والمحكومين.
- صياغة استراتيجية تبليغ، مع اليقين أنَّ الإنسان لا يقبل الجديد مباشرة.

---

(1) وَجُئِثَ جَأْثًا: فَزِعَ. وَقَدْ جُئِثَ إذَا أُفْزِعَ، فَهُوَ مَجْئُوثٌ أَيْ: مَذْعُورٌ. لسان العرب. https://www.arabehome.com/mojam.

(2) البخاري، (4926)، الدرر السنية، https://dorar.net/ .

(3) محّمد سَعيد رَمضان البوطي، فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة، مرجع سابق.

صعوبات تبليغ الرسالة [1]

المِحن والصعوبات التي واجهها النبيُّ ﷺ إنَّما كانت بسبب ما واجهه به كفَّار قريش من وسائل وأساليب متنوعة في محاربة دعوته، "إذ عندما رأت قريش أنَّ أثر دعوة النبي مُحمَّد ﷺ لم يكن محدوداً كما كان الحال مع من دعا إلى نبذ الأصنام قبل مُحمَّد ﷺ، أمثال زيد بن عمرو بن نفيل وورقة، قامت في وجه مُحمَّد ﷺ ومن تبعه، وأخذت تمارس شتَّى أساليب ووسائل الترغيب والترهيب لصدِّه عن هذا الطريق الذي هدَّد مصالحهم التي يجنونها من وجود الحَرَم في أرضهم، وحطَّ من تكبُّرهم على غيرهم، ووقف أمام شهواتهم في السيطرة واقتراف السيئات والموبقات، ومن أبرز تلك الأساليب:

- **الأسلوب الأول:** كان أول أسلوب لجؤوا إليه هو محاولة التأثير على عمِّه أبي طالب حتى يكفِّه عن الدعوة، أو تجريده من جواره أي حمايته، فقد ذهبت مجموعة من أشرافهم إلى عمِّه أبي طالب وقالوا له: إنَّ ابن أخيك قد سبَّ آلهتنا، وعاب ديننا، فإمَّا أن تكفَّه عنَّا، وإمَّا أن تُخلِّي بيننا وبينه، فقال لهم أبو طالب قولاً رفيقاً وردَّهم رداً جميلاً، فانصرفوا عنه. [2]

خبراته:

- أدرك حقيقة التكليف، وتوقَّع ردود أفعال أباطرة قريش.
- شاهد بأمِّ العين التكالب على الدُّنيا رغم وضوح مآل الآخرة.
- أدار الأزمة بتجلُّد ليقينه بأنَّ الله مُظهر دِينه.
- كابد وتعايش مع تكبِّر زعامات قريش لينهض بالرسالة.
- تألَّم لحال الاعتداء على من آمن ودعاهم للصَّبر.

---

(1) السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، د. مهدي رزق الله، ص165-194، https://islamqa.info/ar/answers/138636/، بتصرف.

(2) نقل ذلك ابن هشام 328/1، من رواية ابن إسحاق.

- علم وأحسَّ بما يكابد عمَّه أبو طالب منهم.

- **الأسلوب الثاني:** التهديد بمنازلة الرسول ﷺ وعمِّه أبي طالب. ولما مضى رسول الله ﷺ على ما هو عليه، يُظهر دِين الله ويدعو إليه، غضبت منه قريش وعادوه وحقدوا عليه، فمشوا إلى عمِّه مرة أخرى فقالوا له: يا أبا طالب! إنَّ لك سِنّاً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنَّا قد استنهيناك من ابن أخيك، فلم تَنهَهُ عنَّا، وأقسموا بأنَّهم لن يصبروا على أفعاله حتى يكفَّه عنهم أو ينازلوه وإيَّاه في ذلك حتَّى يهلك أحد الفريقين. عند هذا عظُم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم، ولم يطِبْ نفساً بإسلام رسول الله ﷺ لهم ولا خذلانه، ولذا أبلغ الرَّسول ﷺ بالذي قالوه، وطلب منه أن يبقي عليه وعلى نفسه، ولا يحمِّله من الأمر ما لا يطيق. [1]

خبراته:

- عَلِم أنَّ طغاة قريش يصعِّدون الخطوة بعد الأخرى، وأنَّ الآتي أعظم.
- أدرك أنَّه لا بدَّ من نصير وحلٍّ آخر لتخفيف الضَّغط عن عمِّه أبي طالب.
- حرصه على حماية من آمن ليثبتوا، وليدخل آخرون الإسلام.

- **الأسلوب الثالث:** الاتهامات الباطلة لصدِّ النَّاس عنه. ومن تلك الاتهامات:

1. اتَّهموه **بالجنون**: وفي ذلك نزل قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ٦﴾ [الحجر:6].
2. اتَّهموه **بالسِّحر**: وفي ذلك نزل قوله تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ٤﴾ [ص:4].

(1) سيرة ابن إسحاق، ص145.

3. واتَّهموه **بالكذب**: وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٌ ٱفۡتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيۡهِ قَوۡمٌ ءَاخَرُونَۖ فَقَدۡ جَآءُو ظُلۡمٗا وَزُورٗا ۝٤ ﴾ [الفرقان:4].

4. واتَّهموه **بالإتيان بالأساطير**: قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ ﴾ [الفرقان/5].

5. وقالوا إنَّ **القرآن ليس من عند الله**، وإنَّما هو من عند البشر: قال تعالى ﴿ وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ۝١٠٣ ﴾ [النحل:103].

6. واتَّهموا **المؤمنين بالضَّلالة**: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ۝٣٢ ﴾ [المطففين/32].

خبراته:

- أدرك خوف وذعر قريش من دعوته؛ مجرَّد البدء بالتشويه لصورته وسمعته.
- توقَّع تصاعد الأذى كون الخائف المذعور تصاحبه الحماقة.
- ازداد يقيناً أنَّه لا بدَّ من مخرج خارج مكَّة، فهذه الاتهامات لها ما بعدها.

- **الأسلوب الرابع**: السخرية، والاستهزاء، والضَّحك، والغمز، واللمز، والتعالي على المؤمنين.

عن سخريتهم من الذين آمنوا يقول الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ۝٥٣ ﴾ [الأنعام:53].

وروى البخاري أنَّ أبا جهل قال مستهزئاً: ﴿ وَإِذۡ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ

﴿٣٢﴾ ﴾ [الأنفال: ٣٢]، فنزلت: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمۡ وَأَنتَ فِيهِمۡۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [الأنفال:32-33].

خبراته:

- هذه المرحلة كشفت خواء عقيدة طغاة قريش، وأنَّ فرائِصَهم ترتعد، وأنَّ مصالحهم ستدفعهم لما هو أسوأ.
- تمكَّن بقدرة موهوبة أن يكظم غيظه، ويلجم ذاته، تغليباً للهدف الأسمى والأبعد على الأقرب.
- ارتفعت مناعة المؤمنين بعد الآيات التي توالت للردِّ على قريش، وكأنَّ الملف انتقل من الإدارة المحضة إلى مستوى الإدارة المؤيدة.

- **الأسلوب الخامس:** التشويش.

كان المشركون يتواصَوْن بينهم بافتعال ضجَّة عالية وصياح منكر عندما يقرأ القرآن، حتى لا يصل إلى سمع أحد وقلبه، فيؤثِّر فيه، وفي ذلك قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [فُصِّلت:26].

خبراته:

- التزام النبيِّ ﷺ وإصراره واستمراره بتبليغ الرسالة أفقد قريش توازنها.
- شعر المؤمنون بتزايد ضعف مناعة قريش بشهادة انحدار مستوى معالجتهم الدرجة تلو الأخرى.
- تغليب دنيء الأساليب يظهر هشاشة الرأي في قريش.
- بدأ المؤمنون يشعرون بالتأييد الباطني عند كثيرين.

- كثَّف النبيُّ ﷺ من براقة خطابه، ودماثة تعاملاته ليشجع المتعاطفين، وليضعف طوق قريش من حوله.

- **الأسلوب السادس:** طلبهم أن تكون للرسول معجزات ومزايا ليست عند البشر العاديين.

من ذلك **قولهم:** قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَاۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ ﴾ [الفرقان:7-9].

وقولهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء:90-93].

خبراته:

- أقرَّت قريش من حيث لا تدري بطلبها المعجزات أنَّه نبيٌّ، ولكن الكِبر والعناد والخوف من عاقبة أعمالهم أعماهم.
- انتقال قريش لشيء من البرهان العقلي والمحسوس إقرارٌ منها بفشل أساليب إيذائها العنيفة حتى الآن.
- دراسة أمارات القوَّة والضَّعف عند الخصم تفيد في التخطيط والردِّ على خطواته.

- **الأسلوب السابع:** المساومات.

لقد حاولت قريش من خلال هذا الأسلوب أن يلتقي الإسلام والجاهلية في منتصف الطريق، وذلك بأن يترك المشركون بعض ما هم عليه، ويترك النبي ﷺ بعض ما هو عليه، قال تعالى: ﴿ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩ ﴾ [القلم:9].

وعندما **قالوا** له: اعبد آلهتنا يوماً، ونعبد إلهك يوماً، أنزل الله تعالى سورة "الكافرون": قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۝٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ۝٦ ﴾ [الكافرون: ١ – ٦]، وحسم هذه المساومة الهزلية.

خبراته:

- بلوغ مرحلة المساومات إقرار دامغ من قريش بأنَّه ندٌّ لهم جميعاً، ولو ألبسوها لباس التعقُّل والحيلة.
- تميُّز إدارة النبيِّ ﷺ للمرحلة وضغوطها، استدرجتهم عن عروش طغيانهم وكِبرهم إلى ساحة ما ظنُّوا يوماً أنَّهم سينزلونها.
- إدارة حماية الدعوة عموماً، والمؤمنين خصوصاً، انتهجت نهجاً عقلياً جديداً يسجل الانتصار تلو الانتصار للرسالة الخاتمة.

- **الأسلوب الثامن:** سبُّ القرآن، ومنزله، ومن جاء به.

روى البخاري ومسلم وغيرهم في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١١٠ ﴾ [الإسراء/110]، أنَّ ابن عباس قال: نزلت ورسول الله ﷺ مختفٍ بمكَّة، كان إذا صلَّى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمع المشركون سبُّوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيِّه مُحمَّد ﷺ: ﴿ولا تجهر

بصلاتك﴾ أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبُّوا القرآن: ﴿ولا تخافت بها﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وابتغ بين ذلك سبيلاً﴾.

خبراته:

- من علامات إفلاس الخصم خروجه عن المنطق والحجَّة والبرهان إلى البذاءة.
- تنطُّع سفهاء قريش أمام حكمائها أنزل الطمأنينة في نفوس المؤمنين.
- رقيُّ الأخلاق لا يمنع من الحذر والتحوُّط بعد انحدار مستوى التعامل.

- **الأسلوب التاسع:** الاتصال باليهود للإتيان منهم بأسئلة تعجيزية للرسول ﷺ.

أوفدت قريش نفراً منهم إلى المدينة، على رأسهم النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ليأتوا من اليهود بأسئلة تعجيزية فيطرحوها على الرسول ﷺ، فقالت لهم يهود: سلُوه عن أهل الكهف وعن ذي القرنين والرُّوح، ولكنَّ الله أبطل كيدهم عندما أنزل قرآناً في شأن الإجابة عن أسئلتهم.

خبراته:

- اتِّصال قريش باليهود دليل إفلاس، وبالمقابل شهادة بحُسن إدارة تبليغ الرسالة.
- توافق المصالح بين ميسوري وزعامات قريش واليهود ينذر بتوسُّع قاعدة الأعداء.
- الانتقال في إدارة المعركة لخارج الرقعة الجغرافية والقبلية.

- **الأسلوب العاشر:** الترغيب.

أرادت قريش أن تجرب أسلوب الترغيب، فأرسلت عتبة بن ربيعة الذي قال للرسول ﷺ: يا ابن أخي، إنَّك منَّا حيث قد علمت من المكان في النَّسب، وقد أتيت قومَك بأمرٍ عظيم فرَّقت به جماعتهم، فاسمع منِّي أعرض عليك أموراً لعلَّك تقبل بعضها: إنْ كنت تريد بهذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى

تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنت تريد شرفاً سوَّدناك، أي جعلناك سيداً، علينا فلا نقطع أمراً دونك، وإنْ كنت تريد ملكاً ملَّكناك علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيك رئياً، من الجنِّ، تراه لا تستطيع ردَّه عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ.

فلما فرغ من قوله تلا رسول الله ﷺ صدر سورة "فُصِّلت" إلى قوله: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ﴾ [فصّلت: ١٣].

خبراته:

- رغم الضغوط والآلام نجح النبيُّ ﷺ أن يجعل قريش تعرض عليه العروض المختلفة، ومنها تنازلهم عن بعض مصالحهم لصالحه، وهذا تغيير فكري استراتيجي عندهم يستهدف تقليل الخسائر.
- نمط الإدارة بالمبادرة المضادة يكسب الأضعف مساحة وتقدُّماً أوسع.
- مهارات التفاوض المكتنزة عن النبيِّ ﷺ فازت في هذه الجولة.

- **الأسلوب الحادي عشر:** الترهيب.

كان أبو جهل إذا سمع عن رجل قد أسلم وله شرف ومِنعة أنَّبه وأخزاه، وقال له: تركت دِين أبيك وهو خيرٌ منك! لنسفِّهن حلمك، ولنُضعفَنَّ رأيك، ولنَضعنَّ شرفك. وإنْ كان تاجراً قال له: لنكسدنَّ تجارتك، ولنهلكنَّ مالك. وإنْ كان ضعيفاً ضربه وأغرى به. [1]

خبراته:

- الترهيب سيفٌ ذو حدَّين، ففيه ضعف الخصم وكذا فرصة الكسب منه وعليه.
- اقتناص الفرصة رغم مرارة بعض ظروفها يسجَّل لمن يُحسن توظيفها.

(1) سيرة ابن هشام، 395/1.

- استدراج الخصم لمزيد ضعف يرفع المعنويات، ويزيد الأنصار، وينشر الرسالة.

- **الأسلوب الثاني عشر**: الاعتداء الجسدي.

عندما لم تثمر كل الأساليب السابقة في صدِّ الرسول ﷺ وأصحابه عن دينهم، لجأت قريش إلى أسلوب الاعتداء الجسدي والتصفية الجسدية.

أخرج مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَى رَقَبَتِهِ أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي زَعَمَ لِيَطَأَ عَلَى رَقَبَتِهِ. قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ، فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا. قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا نَدْرِي فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَوْ شَيْءٌ بَلَغَهُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يَنۡهَىٰ ٩ عَبۡدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ١٠ أَرَءَيۡتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلۡهُدَىٰٓ ١١ أَوۡ أَمَرَ بِٱلتَّقۡوَىٰٓ ١٢ أَرَءَيۡتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ١٣ أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤ كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ لَنَسۡفَعَۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ١٥ نَاصِيَةٖ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٖ ١٦ فَلۡيَدۡعُ نَادِيَهُۥ ١٧ سَنَدۡعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ١٨ كَلَّا لَا تُطِعۡهُ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ۩ ١٩ ﴾ [العلق: ٦ – ١٩]، يَعْنِي أَبَا جَهْلٍ. [1]

وروى البخاري بسنده إلى عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ قَالَ سَأَلْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو عَنْ أَشَدِّ مَا صَنَعَ الْمُشْرِكُونَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: رَأَيْتُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فِي عُنُقِهِ فَخَنَقَهُ بِهِ خَنْقًا شَدِيدًا، فَجَاءَ

(1) مسلم (2797)، الدرر السنية، https://dorar.net/.

أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَفَعَهُ عَنْهُ فَقَالَ: ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾ [غافر: ٢٨]. [1]

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: بينما النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابٌ لَهُ جُلُوسٌ إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ، فَانْبَعَثَ أَشْقَى الْقَوْمِ، فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ ﷺ، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي شَيْئًا لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَع رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.[2]

ونال أبا بكر رضي الله عنه نصيبه من الأذى حتى فكَّر في الهجرة إلى الحبشة فراراً بدِينه.

وكان أول من جهر بالقرآن بعد رسول الله ﷺ بمكَّة عبد الله بن مسعود، على الرغم من تحذير المسلمين من عدوان المشركين وخشيتهم عليه، فعندما فعل ذلك ضربوه على وجهه حتى أثَّروا فيه.

خبراته:

- تنفيذ المُحرَج المأزوم تهديداته يقلِّل من شأنه، ويحطُّ من قدره، ويرفع من مكانة المستهدف.
- حُسن الردِّ والتصرُّف يوسعان رقعة المعتدى عليه على حساب مساحة المعتدي في النفوس داخل مكَّة وخارجها.

---

(1) البخاري (3678)، الدرر السنية، https://dorar.net/.

(2) البخاري(240)، مسلم (1794)، الدرر السنية، https://dorar.net/.

- ترقب القبائل لتسلسل الأحداث داخل مكة يجعلهم يعيدون التفكير بمصالحهم وعلاقاتهم مع قريش، وأقلّها أمن الحج إلى مكَّة والتجارة فيها.

- **الأسلوب الثالث عشر:** ملاحقة المسلمين خارج مكَّة والتحريض عليهم.

عندما هاجر بعض المسلمين إلى النَّجاشي أرسلوا خلفهم من حاول اللحاق بهم قبل العبور إلى الحبشة، وعندما استقرُّوا بالحبشة وكثر عددهم أرسلوا في طلبهم، واستخدموا في ذلك الرِّشوة والحيلة للوقيعة بين المسلمين والنَّجاشي، ولكنَّهم فشلوا في ذلك.

خبراته:

- امتداد الصراع خارج قريش ومكَّة، أعطى للأمر بُعداً لا بدَّ من مواجهته.
- تحدِّي النَّجاح بعد توسُّع رقعة المعركة يلزمه رباطة جأش، وحُسن تدبير.
- التحوُّل من إدارة الأمور تجاه خصم في مكان محدد يختلف عنه مع تعدُّد الخصوم ورقع الصراع.
- مواكبة تحوُّلات الخصم يرفع من سياسة البدائل في مواجهته.

- **الأسلوب الرابع عشر:** المقاطعة العامة، وذلك في شِعب أبي طالب.

خبراته:

- الحصار الاقتصادي يُعتبر من أبشع أساليب الحرب وتزداد قسوته على الفئة الغضَّة العود.
- الإدارة في المواجهة مع وجود الطعام والشراب صعبة، ولكن بعد فقد الطعام الأمور أشدَّ وأقسى.
- لم يخذل الصحابة النبي ﷺ في مختلف المحن السابقة، ولكن هذه المحنة ليست كغيرها، فحُسن الإدارة النفسية والعقدية أمر بالغ الأهمية في هذه الظروف.

- **الأسلوب الخامس عشر:** محاولة قتل الرَّسول ﷺ ثم شنُّ الحرب عليه.

خبراته:

- التصفية الجسدية تُعتبر العتبة قبل الصِّدام المباشر.
- حُسن التدبير فوَّت على قريش مرادها، وقزَّمها، وعرَّاها في أعيُن الآخرين.
- عرف المؤمنون أنَّ الفراق حاصل لا محالة، ولكن المهارة أن يكون ما بعده أعظم كسباً للرسالة وأهلها.

أحداث الفترة المكية (1)

أحداث السنة الأولى من البعثة:

- نزول الوحي على النبيّ ﷺ في غار حِراء وهو في الأربعين من عمره.
- إسلام خديجة، وأبي بكر، وعليّ بن أبي طالب، وزيد بن حارثة.
- إسلام جماعة من الأشراف والموالي كعثمان، والزبير، وعبد الرحمن بن عوف، وصُهيب الرومي، وعمَّار بن ياسر، وأبي ذرٍّ، وابن مسعود، وعثمان بن مظعون، وغيرهم.

خبراته:

- جلل الأمر على نفسيَّة وجسد النبيِّ ﷺ.
- مساندة السيِّدة خديجة رضي الله عنها المعنوية والمادية.
- تصديق المقرَّبين منه وإسلامهم.

---

(1) أفكار التسلسل الزمني مصدرها، خالد أبو صالح، موقع وذكر الإسلامي، http://aljnh.blogspot.com/، بتصرف.

- بدء تجاوز قبول الإسلام دائرة أخلص المقربين، ودخوله عرين أكبر بيوتات قريش.

أحداث السنة الخامسة من البعثة

- أمر الرَّسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة بعد اشتداد الأذى بهم، ورجوعهم بعد ثلاثة أشهر.
- وفد قريش لإرجاع المهاجرين إلى مكَّة والمجادلة بين يدي النَّجاشي.

خبراته:

- مهارته الإدارية في نشر الدعوة ألجأته إلى بديل حماية المؤمنين من الإبادة.
- الحنكة السياسة الممزوجة بالتجارية اجترحت بديل الهجرة للحبشة.
- مقياس عدم الظُّلم عند انتقاء مقرِّ الحماية الجديد.
- حُسن ظنِّ النبيِّ ﷺ بالنَّجاشي أدخلت الإسلام إلى قلبه.
- حسن اختيار قائد المهاجرين.
- ثقة وفطنة إدارية ردَّت كيد قريش لنحرها.

المجادلة بين يدي النَّجاشي: أفردها لأهمية دروسها: في إدارة المواقف وحُسن التصرُّف في التحدِّيات، وجمال العرض الموجز عمَّا كانوا قبل الرسالة، وبعدها.

لما هاجر جعفر رضي الله عنه وبعض المسلمين المستضعفين إلى الحبشة، حزن المشركون في مكَّة على إفلاتهم منهم وذهابهم إلى مكان يأمنون فيه على أنفسهم، ومن ثمَّ قرَّروا إرسال رجلين منهم، وهما عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، ليُرْجِعوا هؤلاء المهاجرين إلى مكَّة، فذهبا وأخذا معهما هدايا كثيرة للنَّجاشي وكبار القوم عنده، فلمَّا وصلا إلى الحبشة والتقيا بالنَّجاشي وسمع منهما، استدعى النَّجاشي المسلمين الذين أتوا إلى بلده مهاجرين، ودار **حوار طويل** بين جعفر بن أبي طالب

رضي الله عنه والنَّجاشي، ومما دار بينهما في هذا الحوار: الكلام على عيسى عليه السَّلام. **وتصف أمُّ سلمة** رضي الله عنها هذا الموقف والحوار فتقول:

"نزلنا أرض الحبشة جاوَرْنا بها خير جار النَّجاشي، أَمِنَّا على دِيننا، وعَبَدْنا اللهَ لا نُؤذى، ولا نسمع شيئاً نكرهه. فلما بلغ ذلك قريشاً، ائتمروا أن يبعثوا إلى النَّجاشي فينا رجلين جلدين (قويين شديدين)، وأن يهدوا للنَّجاشي هدايا ممَّا يُستطرف من متاع مكَّة. وكان من أعجب ما يأتيه منها إليه الأدَم (الجِلْد)، فجمعوا له أدماً كثيرة، ولم يتركوا من بطارقته بطريقاً إلا أهدوا له هديَّة، ثم بعثوا بذلك مع عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة المخزومي وعمرو بن العاص، وأمروهما أمرهم وقالوا لهما: ادفعوا إلى كل بطريق هديته قبل أن تكلِّموا النَّجاشي فيهم، ثمَّ قدِّموا للنَّجاشي هداياه، ثمَّ سلُوه أن يسْلِمهم إليكم قبل أن يكلِّمهم._ **(خطة قريش: التدليس)**

قالت: فخرجا فقدِما على النَّجاشي فنحن عنده بخير دار، وعند خير جار، فلم يبقَ من بطارقته بطريقٌ إلا دفعَا إليه هديته قبل أن يكلِّما النَّجاشي، ثم قالا لكلِّ بطريقٍ منهم: إنَّه قد صبا إلى بلد الملك منَّا غِلمان سُفهاء (تركوا دِينهم)، فارقوا دِين قومهم، ولم يدخلوا في دِينكم، وجاؤوا بدِينٍ مبتدعٍ لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا إلى الملك فيهم أشراف قومهم ليردَّهم إليهم، فإذا كلَّمنا الملك فيهم فتشيروا عليه بأنْ يسلِّمهم إلينا ولا يكلِّمهم، فإنَّ قومهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم، فقالوا لهما: نعم.

ثمَّ إنَّهما قرَّبا هداياهم إلى النَّجاشي فقبِلها منهما، ثمَّ كلَّماه، فقالا له: أيها الملك إنَّه قد صبا إلى بلدك منَّا غلمانٌ سفهاء، فارقوا دِين قومهم ولم يدخلوا في دِينك، وجاؤوا بدِين مبتدَع لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم، من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم، لتردَّهم إليهم فهم أعلى بهم عيناً، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه. قالت: ولم يكن شيء أبغض إلى عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص من أن يسمع النَّجاشي كلامهم، فقالت بطارقته حوله: صدَقوا أيُّها الملك، قومُهم أعلى بهم عيناً،

وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلِمْهُم إليهما فَلْيَرُدَّاهُم إلى بلادهم وقومهم، قال: فغضب النَّجاشي ثم قال: لا هَيْمُ اللهِ (أي: لا والله) إذًا لا أُسْلِمُهُم إليهما، ولا أكاد قوماً جاوروني، نزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتَّى أدعوهم فأسألهم ماذا يقول هذان في أمرهم، فإنْ كانوا كما يقولان أسلمتهم إليهم ورددتهم إلى قومهم، وإنْ كانوا على غير ذلك منعتهم منهما، وأحسنتُ جوارهم ما جاوروني.

قالت أمُّ سلمة: ثمَّ أرسل إلى أصحاب رسول الله ﷺ فدعاهم. فلمَّا جاءهم رسوله اجتمعوا ثمَّ قال بعضُهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جِئتُموه؟ قال: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبيُّنا ﷺ، كائنٌ في ذلك ما هو كائن. **(خطة المهاجرين: الصِّدق)**

فلمَّا جاؤُوهُ، وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله سألهم فقال: ما هذا الدِّين الذي فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا في دِيني، ولا في دِين أحد من هذه الأمم؟ قالت: فكان الذي كلَّمه جعفر بن أبي طالب، **(حسن اختيار القائد)**

فقال له: أيُّها الملك، كنَّا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل المَيْتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونُسِيء الجوار، ويأكل القوي منَّا الضعيف، فكنَّا على ذلك، **(توصيف موجز لحال مكَّة)**

حتى بعث الله إلينا رسولاً منَّا نعرف نَسَبه وصِدقه، وأمانته، وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحِّده ونعبده، ونخلع ما كنَّا نحن نعبد وآباؤُنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرَنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصِلة الرَّحم، وحُسن الجوار، والكفِّ عن المحارم والدِّماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزُّور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمَرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصَّلاة والزَّكاة والَّصيام، قالت: فعدَّد عليه أمور الإسلام. **(أساسيات الدعوة)**

فصدَّقناه، وآمنَّا به واتَّبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده، فلم نشرك به شيئاً، وحرَّمنا ما حرَّم علينا، وأحللنا ما أحلَّ لنا، فعدا علينا قومُنا، فعذَّبونا وفتنونا عن دِيننا، ليردُّونا

إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحلَّ ما كنَّا نستحلُّ من الخبائث، فلمَّا قهرونا وظلمونا، وشقُّوا علينا، وحالوا بيننا وبين دِيننا خرجنا إلى بلدك، واخترناك على مَن سواك، ورغِبنا في جوارك، ورجونا ألا نُظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النَّجاشي: هل معك ممَّا جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم، فقال له النَّجاشي: فاقرأ عليَّ، فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ [مريم:1] (بعض آيات من أوائل سورة مريم)، قالت: فبكى والله النَّجاشي حتى أخضلَّ (بلَّ) لحيته، وبكَت أساقفته حتى أخضلُّوا مصاحفهم حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال النَّجاشي: إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مِشكاة واحدة، انطلقا، فوالله لا أسلِمُهم إليكم أبداً، ولا أكاد.

قالت: فلمَّا خرجا من عنده قال عمرو بن العاص: والله لأنبّئنَّه غداً عيبهم عنده، ثمَّ أستأصل به خضراءه. **(خطة قريش البديلة)**

قالت: فقال له عبد الله بن أبي ربيعة وكان أتقى الرَّجلين فينا: لا تفعل، فإنَّ لهم أرحاماً، وإن كانوا قد خالفونا، قال: والله لأخبرنَّه أنَّهم يزعمون أنَّ عيسى ابن مريم عبد. قالت: ثمَّ غدا عليه الغد، فقال له: أيُّها الملك: إنَّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسِل إليهم، فاسألهم عمَّا يقولون فيه. قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه، قالت: ولم ينزل بنا مثلها، فاجتمع القوم، فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول والله ما قال الله وما جاء به نبيُّنا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلمَّا دخلوا عليه، قال لهم: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟ فقال له جعفر بن أبي طالب: نقول فيه الذي جاء به نبيُّنا: هو عبدُ الله ورسولُه وروحُه، وكلمتُه ألقاها إلى مريم العذراء البتول. قالت: فضرب النَّجاشي يده إلى الأرض، فأخذ منها عوداً ثم قال: ما عدا (تجاوز) عيسى ابن مريم ما قلتَ، هذا العود. فتناخَرت بطارقته حوله حين قال ما قال، فقال: وإن نخرتم والله، اذهبوا فأنتم . الآمنون، من سبَّكم غُرِّم، ثم من سبَّكم غُرِّم، ثم من سبَّكم غرم، فما أحبُّ أنَّ لي دبراً ذهباً، أي جبلاً ذهباً، وإنِّي آذيت رجلاً

منكم، ردُّوا عليهما هداياهما، فلا حاجة لنا بها، فوالله ما أخذ الله منّي الرِّشوة حين ردَّ علي ملكي، فآخذ الرِّشوة فيه، وما أطاع النَّاس فيَّ فأطيعهم فيه. قالت: فخرجا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاءا به، وأقمنا عنده بخير دار مع خير جار. [1]

(فشل خطة قريش)

خبراته:

- تدريب الجمع على أن يمثِّلهم أحدُهم.
- اعتماد منهجيّةِ الردِّ بصدقٍ، وأمانةٍ، وشجاعة.
- حُسن تدبير المجموعة فيما بينهم.
- الخروج بالصورة اللائقة بالإسلام.

أحداث السنة السادسة من البعثة

- إسلام حمزة، وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

خبراته:

- ضغوط قريش بأنواعها ضيَّق السُّبل على المؤمنين.
- يقين النبيِّ ﷺ بأنَّه سيؤيَّد بجمع من عِلية القوم.
- إدارة المواقف قبل ومع إسلام حمزة.
- إدارة الموقف أمام عمر بن الخطاب المرعب ومواجهته، فأسلم.

---

(1) التدخل الإداري في النص تصرف خاص، الصحيح المسند من دلائل النبوة، (96)، مجمع الزوائد، (27/6)، وأخرجه أحمد (1740) باختلاف يسير، وأبو نعيم في حلية الأولياء، (115/1) مختصراً، الدرر السنية، https://dorar.net/. بتصرف.

أحداث السنة السابعة من البعثة

- حصار النبيّ ﷺ مع عمِّه أبي طالب، وبني هاشم، وبني المطلب في شِعب أبي طالب.
- أمَر النبيُّ ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وهي الهجرة الثانية، فهاجر نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثماني عشرة امرأة.

خبراته:

- التضييق الاقتصادي وضَعَ القائد بموقف صعب، ولكنَّ الله أيَّده.
- حُسن التربية الإيمانية للصحابة، وصدق إيمانهم عامل النجاح الأساس.
- القائد في سبيل النجاح، وحماية فريقه يعتمد سياسة البدائل.
- تكرار القرار السابق بالهجرة بعد تردِّي الأحوال بأكثر ممَّا كان.
- تغليب فكر المحاولة وعدم الاستسلام.

أحداث السنة العاشرة من البعثة

- نقض صحيفة الظُّلم والجَوْر، وخروج النبيِّ ﷺ ومن معه من الشِّعب بعد أن أمضوا فيه قريبًا من ثلاث سنين.
- وفاة خديجة زوج النبيّ ﷺ وعمِّه أبي طالب.
- اشتداد الأذى برسول الله ﷺ.
- انتقال النبيّ ﷺ إلى الطائف لدعوة القبائل، فلقي من الأذى شيئًا عظيمًا.
- رجوعه ﷺ إلى مكَّة، ودخوله في جوار المطعم بن عديّ.
- اجتهاده ﷺ في دعوة القبائل في مكَّة وخارجها.

خبراته:

- تعرُّض القائد لسلسلة من الأحداث غير العادية في قسوتها وتتاليها.
- تقبُّل الألم والحزن لفقد الحبيبة والسَّند بمسؤولية القائد المُدرك هدفه.

- تسريع النبيّ ﷺ تأمين نصير بعد عمِّه أبي طالب، فخرج عن نطاق مكة المُحكم الإغلاق تجاهه، فزار الطائف، ولم تؤتِ الخطة ثمارها.
- اليقين بفرج الله وحده أعانه على إدارة المرحلة رغم قتامة المشهد.
- إحساس الفريق بحساسية موقف القائد، ولكن المواجهات تتعدَّى قواهم.
- قبول القائد بجوار مرحلي لتمرير اللحظة غير المواتية.
- العمل على نشر الدعوة بين القبائل علَّه يجِد المأوى والظهير، ولو خارج مكَّة.

أحداث السنة الحادية عشرة من البعثة

- حدث الإسراء والمعراج، وقيل في العاشرة وفيه خلاف.
- فرض الصَّلوات الخمس أثناء المعراج.
- دعوة النبيّ ﷺ لستَّة نفر، قدِموا من المدينة فأسلموا وهم: أبو أمامة، أسعد بن زرارة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن حديدة، وعقبة بن عامر، وسعد بن ربيع، وقد شكَّل هؤلاء النواة الأولى للدعوة في المدينة.

خبراته:

- أبى الله إلا أن يفرِّج كُربة رسوله ﷺ فأيَّده بالإسراء والمعراج.
- رحلة تُنير البصيرة لعظيم خلق وقدرة الله، ليتيقن أنَّ ما يعانيه سهلٌ يسير يتغيَّر بطَرفة عين.
- تكليف الله له بالصَّلوات حوَّل نافذة الأمل إلى باب مفتوح على مصراعيه، لدالة التكليف بأنَّ الأمر على طريق الفلاح والظَّفر.
- قدرته على توصيف الرحلة لقريش أدخل العجز إلى نفوسهم، ولو جاهروا بردِّ كلامه استمراراً في محاولة تشويه سمعته.
- الثبات النفسي والعقدي منحه مزيد قوة لنشر دعوته بين القبائل والوافدين إلى مكَّة حتَّى أكرمه الله بنواة الفرج والمخرج المرتقب.

- إيمان ستَّة من أهل المدينة انعطافه على مسار الفرج المرتقب.

أحداث السنة الثانية عشرة من البعثة

- بيعة العقبة الأولى: وفيها بايع الرسول ﷺ اثنا عشر رجلاً، ثم انصرفوا إلى المدينة، فأظهر الله بها الإسلام على أيديهم، وهم:
- أبو أمامة، وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وذكوان بن عبد قيس، وخالد بن مخلف، وعبادة بن الصَّامت، وعبَّاس بن عبادة، وأبو الهيثم بن التيهان، وعويم بن ساعدة.
- إسلام سعد بن عبادة، وأسيد بن حُضير، وقبيلة بني عبد الأشهل بأسرها.
- انتشار الإسلام حتى عمَّ قبائل الأنصار كلها.

خبراته:

- بالإدارة الرديفة تجهز فريق التدخل السريع الذي أسَّس الأرض الصالحة للدعوة المحارَبة.
- أحرز الفريق نتائج مشجعة في تهيئة الأرض لقبول القادم.
- سرعة انتشار الدعوة بين قبائل المدينة ساعد على تأسيس أرض ومقرِّ الدولة الوليدة.
- شعر القائد بالنُّصرة بعد عجاف الأيام الأخيرة من قومه.

أحداث السنة الثالثة عشرة من البعثة

- بيعة العقبة الثانية: وفيها وفد على الرسول ﷺ ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان فبايعوه عند العقبة، ثم انصرفوا إلى المدينة، فانتشر الإسلام في كلِّ بيت فيها.

خبراته:

- نجاح الفريق الأول في تجهيز المدينة شجَّع على إرسال فريق آخر يجمع بين الدعوة، والنجاة من تضييق صناديد قريش.
- إدارة المرحلة الأخيرة من الدعوة المكِّيَّة كان لابدَّ من إخراجه بما يليق بالصَّادق الأمين، فقد أدَّى الأمانات رغم ما يكابد من ظروف بخطَّة أربكت قريش.
- خروج القائد من الأرض المألوفة لديه إلى أرض سيتعرَّف على أهلها، فيه تغليب المصلحة العامة على الخاصة في سبيل النهوض بالتكليف الربَّاني.
- ساعد التخطيط بسيناريوهات الخروج من مكَّة في حفظ سلامة القائد ومرافقه.

خلاصة إدارية: انتهت الفترة المكِّية، باعتراف الخصوم قبل الأصحاب والأتباع، بنبوغ شخص المدير القائد بعد أن تدرَّج بكامل أدوار المدير الناجح.

المطلب الثاني: الفترة المدَنيَّة (10 سنوات)

تميَّزت الفترة المدَنيَّة بإتمام الأمر ونجاحه مع كثرة المقبلين على الإسلام، وكان دون ذلك الكثير من الطَّعن والغمز واللمز، من داخل بيئة المدينة رغم الصحيفة الجامعة لأهلها، والتي كانت برضى مختلف الأطراف في العلن، إلا أنَّ بعضهم أبطن غيره.

كما اتَّصفت بمزيد صراعات، ومنافسات، وخصومات داخلية وخارجية جلُّها غير شريف، بعضها نالته بشخصه وأهل بيته "في الشَّرف والعرض"، فضلاً عن دسائس الوقيعة بين المهاجرين أنفسهم من جهة وبين فئتي الأنصار من جهة أخرى، ومرات بين الأنصار والمهاجرين، وكادت المصالح المادية والتجارية أن تحرم الكثيرين من العمل والاكتساب المباح.

غير أنَّ القائد [1]، انتهض في جميع المواقف بما يحفظ المدينة وأهلها، إنقاذاً للدعوة واتباعها، مع الحزم في المواطن التي لا يقبل فيها غيره. وقد أظهر قدرات في الاحتمال والصَّبر غير متخيَّلة، خاصَّة تجاه أناس يُظهرون خلاف ما يبطنون، وفي مقدَّمهم أُبيُّ ابن سلول وزعامات اليهود.

أمَّا الدسُّ والخيانة وتلوُّن الخطاب لم يكن خافياً على القائد، فقد أطلعه الله على المنافقين وأمور غيرها، إلا أنَّه احتمل في سبيل جمع الكلمة ووحدة الأرض وصلابة الموقف، كيف لا؟! وهو المخاطَب بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة:216]، وهي استراتيجية تعامل ومعالجة

---

(1) تنوعت قيادته للأمور ولم تقتصر على القيادة بالقدوة، بل تعداها لأساليب قيادية أخرى منها: أسلوب القيادة الموجّه/ أسلوب القيادة المتناغم / القيادة بغرض الخدمة/ أسلوب القيادة الملهمة/ أسلوب القيادة المحدد لوتيرة العمل، وغيرها من الأساليب المصنفة اليوم. المصدر: أصناف القيادة؛ المفاهيم الإدارية من هارفارد بزنس ريفيو، https://hbrarabic.com، بتصرف.

للأوضاع غير التي كانت في مكّة، فالتزم القائد التكليف الرباني ونهض به. غير أنَّ المهارات الإدارية المطلوبة، في الأرض الجديدة والتكليف بالقتال، تتطلَّب أساليب إدارية سليمة منجزة تتصف بالمرونة والرَّحمة بثوب الحزم في موضعه.

فكانت إضافاته الإدارية تحاكي جلَّ، إنْ لم يكن كلَّ، صنوف الإدارة الحديثة وأبعد منها، والله أعلم. والإداريون المتميزون يستمتعون بنكهتها ومذاقها الخاص كونهم عرفوها في المال والأعمال، وغابت عنهم في الإنسان فكراً وتنشِئة وحياة "ببُعديها القريب والبعيد".

وتركيزاً لمهاراته الإدارية في مواجهة ومعالجة تحديات الجبهة الداخلية سنعرض لعينة:

- من مؤامرات اليهود في المدينة،
- من إيذاء ابن سلول.

أولا: من مؤامرات اليهود في المدينة (1)

إنَّ عداوة اليهود للنبيّ ﷺ لا عجب فيها، فحالُهم مع أنبيائهم، فريقًا كذبوا وفريقًا يقتلون، ومن ثَمّ لا غرابة أن يكذبوا ويعادوا ويتطاولوا على رسول الله ﷺ، بل ويحاولوا قتله. أمَّا مواقفهم ومؤامراتهم على النبيّ ﷺ وعلى المسلمين في المدينة فكثيرة، نشير إلى بعضها:

1. إساءة الأدب مع الرسول ﷺ

كان اليهود يسيئون الأدب مع رسول الله ﷺ في حضرته وأثناء خطابه، فكانوا يحيونه بتحيَّة، في باطنها الأذى والحقد عليه ﷺ؛ مما يدلُّ على خبثهم، وسوء أخلاقهم، وبغضهم الشديد لرسول الله ﷺ.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء ناس من اليهود إلى رسول الله ﷺ فقالوا: السَّامُ (الموت) عليك يا أبا القاسم. فقلت: السَّام عليكم، وفعل الله بكم. فقال

---

(1) موقع إسلام ويب، https://www.islamstory.com/ar/artical/505 وموسوعة الأخلاق، الدرر السنية، https://dorar.net/akhlaq/2449، بتصرف.

رسول الله ﷺ: «مَهْ يا عائشة؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الفحش ولا التفحُّش». فقلت: يا رسول الله، ترى ما يقولون؟ فقال:" ألستِ تريني أردَّ عليهم ما يقولون وأقول: وعليكم."[1]. قالت: فنزلت هذه الآية في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ﴾ [المجادلة: 8].

2. تفكيك الجبهة الداخلية للمسلمين

ولقد حاول اليهود، كعادتهم، تصديع وتفكيك الجبهة الداخلية للمسلمين، فهذه إحدى وسائلهم الخبيثة "قديمًا وحديثًا" في حرب الإسلام، وذلك بإثارة الفتن الداخلية، والشعارات الجاهلية، والدعوات القومية والقبلية، والسعي بالدَّسيسة للوقيعة بين المسلمين.

روى الطَّبري في تفسيره: أنَّ شاس بن قيس اليهودي، كان عظيم الكفر شديد العداوة للمسلمين، مرَّ يومًا على نفر من الأنصار من الأوس والخزرج في مجلس يتحدَّثون، فغاظه ذلك حيث تآلفوا واجتمعوا بعد العداوة، فأمر شابًّا من اليهود أن يجلس إليهم ويذكِّرهم يوم بُعاث، وينشدهم ما قيل فيه من الأشعار، وكان يومًا اقتتلت فيه الأوس والخزرج، وكان الظَّفر فيه للأوس، ففعل، فتشاجر القوم وتنازعوا، وقالوا: السِّلاح السِّلاح...!

فبلغ النبيَّ ﷺ، فخرج إليهم فيمَن معه من المهاجرين والأنصار، فقال:" أتَدعُون الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد إذ أكرمكم الله بالإسلام، وقطع به عنكم أمر الجاهلية، وألَّف بينكم." فعرف القوم أنَّه نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم، فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضًا، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ. فما كان يوم أقبح أولاً، وأحسن آخرًا من ذلك اليوم، وأنزل الله في شاس بن قيس

---

(1) البخاري، (6401)، الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، https://dorar.net/hadith/sharh/76919، بتصرُّف.

وما صنع قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [آل عمران: 99].

3. **غدر اليهود ونقضهم العهد**

أ. **غدر بنو قينقاع:** بعدما أُبرمت وثيقة بين الرسول واليهود بعد الهجرة، وتقوَّت دولة الإسلام وتجذَّرت، بدأ اليهود يتحيَّنون الفرص للغدر بالمسلمين، فكان أوَّل من غدر منهم بنو قينقاع عندما اعتدوا على حجاب امرأة مسلمة في سوقهم وكشفوا عن عورتها، وعندها حاصرهم رسول الله ﷺ بجيش من المسلمين حتى أجلاهم عن المدينة، وأبعدهم إلى بلاد الشام جزاء غدرهم وخيانتهم للعهد. (1)

ب. **غدر بنو النَّضير**، وذلك عندما دبَّروا مؤامرة لاغتيال رسول الله ﷺ وهو جالس في دُورهم، يكلِّمهم ويتحدَّث إليهم، فدبَّروا خطَّة لإلقاء صخرة عليه من أعلى السطح، فكشف الله له أمرهم، وبذلك نقضوا العهد الذي بينه وبينهم بهذه الفعلة النكراء، فحاصرهم بجيش من المسلمين، حتى أجلاهم إلى بلاد الشام كذلك.(2)

ج. **غدر بني قريظة:** وأخيرًا كان الغدر الأكبر من بني قريظة يوم الأحزاب، حيث تجمَّع على المسلمين سائر طوائف الشِّرك من القبائل العربية. فلمَّا رأى اليهود الضِّيق والحرج قد استبدَّ بالمسلمين اعتبروها فرصة، وأعلنوا نقض العهد والالتحام مع المشركين، وكشف الله مكرهم. ثمَّ بعد أن انهزم الأحزاب تفرَّغ لهم رسول الله ﷺ وأدَّب بهم من خلفهم، وكانت نهايتهم أن قتل مقاتلتهم، وسبيت ذراريهم وأموالهم. (3)

---

(1) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص 216.

(2) المرجع نفسه، ص268.

(3) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص 283.

ثانياً: من إيذاء ابن سلول (1)

هو عبد الله بن أُبيّ بن سلول، **رأس المنافقين في المدينة**، كان شديد الإيذاء للنبيّ ﷺ شديد التودُّدِ لليهود. وكان يتهيَّأ لأن تكون له السيادة على الأوس والخزرج قبل مجيء النبيّ ﷺ للمدينة.

فلمَّا هاجر النبيُّ للمدينة والتفَّ النَّاس حوله، كان يرى أنَّ رسول الله هو الذي سلبه الزعامة والسيادة التي كان يتهيَّأ لها، وكان رسول الله يُحسن معاملته من أجل أن يتألَّف قلبه على الإسلام. غير أنَّ غيظه وكيده وتدبيره غير السويّ اتَّضح في العديد من المحطات، منها:

1. **تطاول ابن سلول على النبيِّ** ﷺ قبل إسلامه، وقال إليك عني لقد آذاني نتن حمارك.

في الرواية: قِيلَ للنبيِّ ﷺ: لو أَتَيْتَ عَبْدَ اللهِ بنَ أُبَيٍّ، قالَ: فَانْطَلَقَ إلَيْهِ وَرَكِبَ حِمَارًا وَانْطَلَقَ المُسْلِمُونَ وَهي أَرْضٌ سَبَخَةٌ، فَلَمَّا أَتَاهُ النبيُّ ﷺ قالَ: إلَيْكَ عَنِّي، فَوَاللَّهِ، **لقَدْ آذَانِي نَتْنُ حِمَارِكَ**، قالَ: فَقالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصَارِ: وَاللَّهِ، لَحِمَارُ رَسولِ اللهِ ﷺ أَطْيَبُ رِيحًا مِنْكَ، قالَ: فَغَضِبَ لِعَبْدِ اللهِ رَجُلٌ مِن قَوْمِهِ، قالَ: فَغَضِبَ لِكُلِّ وَاحِدٍ منهما أَصْحَابُهُ، قالَ: فَكانَ بيْنَهُمْ ضَرْبٌ بالجَرِيدِ، وَبِالأيْدِي، وَبِالنِّعَالِ، قالَ: فَبَلَغَنَا أنَّهَا نَزَلَتْ فيهم: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فأصْلِحُوا بيْنَهُمَا﴾ [الحجرات: 9].[2]

2. **إسلام ابن سلول بعد بدر:** لم يدخل عبد الله بن أبيّ بن سلول إلا بعد أن قَوِيَت شوكة المسلمين بعد أن نصرهم الله تعالى في غزوة بدر.

في الرواية: أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ رَكِبَ علَى حِمَارٍ، عليه قَطِيفَةٌ فَدَكِيَّةٌ، وأُسَامَةُ ورَاءَهُ، يَعُودُ سَعْدَ بنَ عُبَادَةَ في بَنِي حَارِثِ بنِ الخَزْرَجِ، قَبْلَ وقْعَةِ بَدْرٍ، فَسَارَا حتَّى مَرَّا بمَجْلِسٍ فيه عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، وذلكَ قَبْلَ أنْ يُسْلِمَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ، فَإِذَا

(1) أصل المادة: دكتور زكريا زاهد جرائم ابن سلول رأس المنافقين في حق الإسلام والمسلمين، https://waseelah.me/10196، بتصرف.

(2) البخاري (2691)، ومسلم (1799)، الدرر السنية، https://www.dorar.net/.

في المَجْلِسِ أخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ والمُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأوْثَانِ واليَهُودِ، وفي المُسْلِمِينَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ، فَلَمَّا غَشِيَتِ المَجْلِسَ عَجَاجَةُ الدَّابَّةِ، خَمَّرَ ابنُ أُبَيٍّ أنْفَهُ بردَائِهِ وقالَ: لا تُغَبِّرُوا عَلَيْنَا، فَسَلَّمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ عليهم ثُمَّ وقَفَ، فَنَزَلَ فَدَعَاهُمْ إلى اللَّهِ وقَرَأَ عليهمُ القُرْآنَ، فَقالَ له عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ: أيُّها المَرْءُ، لا أحْسَنَ ممَّا تَقُولُ إنْ كانَ حَقًّا، فلا تُؤْذِنَا به في مَجَالِسِنَا، فمَن جَاءَكَ فَاقْصُصْ عليه. قالَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحَةَ: بَلَى يا رَسولَ اللَّهِ، فَاغْشَنَا في مَجَالِسِنَا، فإنَّا نُحِبُّ ذلكَ، فَاسْتَبَّ المُسْلِمُونَ والمُشْرِكُونَ واليَهُودُ حتَّى كَادُوا يَتَثَاوَرُونَ، فَلَمْ يَزَلْ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حتَّى سَكَتُوا.

ثُمَّ رَكِبَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ دَابَّتَهُ، فَسَارَ حتَّى دَخَلَ علَى سَعْدِ بنِ عُبَادَةَ، فَقالَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ: أيْ سَعْدُ، أَلَمْ تَسْمَعْ ما قالَ أبو حُبَابٍ "يُرِيدُ عَبْدَ اللَّهِ بنَ أُبَيٍّ" قالَ كَذَا وكَذَا فَقالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: أيْ رَسولَ اللَّهِ، بأَبِي أنْتَ، اعْفُ عنْه واصْفَحْ، فَوَالَّذِي أنْزَلَ عَلَيْكَ الكِتَابَ، لقَدْ جَاءَ اللَّهُ بالحَقِّ الذي أنْزَلَ عَلَيْكَ، **ولَقَدِ اصْطَلَحَ أهْلُ هذِه البَحْرَةِ علَى أنْ يُتَوِّجُوهُ ويُعَصِّبُوهُ بالعِصَابَةِ، فَلَمَّا رَدَّ اللَّهُ ذلكَ بالحَقِّ الذي أعْطَاكَ شَرِقَ بذلكَ**، فَذلكَ فَعَلَ به ما رَأَيْتَ.

فَعَفَا عنْه رَسولُ اللَّهِ ﷺ، وكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وأَصْحَابُهُ يَعْفُونَ عَنِ المُشْرِكِينَ وأَهْلِ الكِتَابِ كما أمَرَهُمُ اللَّهُ، ويَصْبِرُونَ علَى الأذَى، قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ﴾ [آل عمران: 186] الآيَةَ. وقالَ: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِن أهْلِ الكِتَابِ﴾ [البقرة: 109] فَكانَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ يَتَأَوَّلُ في العَفْوِ عنْهمْ ما أمَرَهُ اللَّهُ به حتَّى أذِنَ له فيهم، فَلَمَّا غَزَا رَسولُ اللَّهِ ﷺ بَدْرًا، فَقَتَلَ اللَّهُ بهَا مَن قَتَلَ مِن صَنَادِيدِ الكُفَّارِ وسَادَةِ قُرَيْشٍ، فَقَفَلَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وأَصْحَابُهُ مَنْصُورِينَ غَانِمِينَ، معهُمْ أُسَارَى مِن صَنَادِيدِ الكُفَّارِ، وسَادَةِ قُرَيْشٍ، قالَ ابنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ ومَن معهُ مِنَ المُشْرِكِينَ عَبَدَةِ الأوْثَانِ: **هذا أمْرٌ قدْ تَوَجَّهَ**، فَبَايِعُوا رَسولَ اللَّهِ ﷺ علَى الإسْلَامِ، **فأسْلَمُوا**. (1)

3. **وقوف ابن سلول مع بني قينقاع:** كانت غزوة بني قينقاع في شهر شوال سنة اثنين من الهجرة، وذلك بعد أن نصر الله نبيّه ﷺ على المشركين في غزوة بدر.

---

(1) البخاري (6207)، الدرر السنية، https://www.dorar.net/.

لمَّا رأى اليهود بالمدينة أنَّ الله قد نصر المؤمنين نصراً مؤزَّراً في معركة بدر، وصارت لهم عزَّة وهيبة في قلب القاصي والداني، اغتاظت قلوبهم، وجاهروا بالبغي والأذى، وكان أعظمهم حقداً وأكبرهم شراً يهود بني قينقاع.

فجمعهم النبيُّ ﷺ في سوقهم بالمدينة ونصحهم، ودعاهم إلى الإسلام، وحذَّرهم أن يصيبهم ما أصاب قريشاً في بدر فلم يبالوا، وأخذوا يتحيَّنون الفرصة لإيذاء المسلمين والاعتداء عليهم.

في الرواية: روى ابن هشام في سيرته: " أنَّ امرأة من العرب قدمت بجَلَبٍ لها (ما يُجْلب للسوق لبيعه)، فباعته في سوق بني قينقاع، وجلست إلى صائغ، فجعلوا يريدونها على كشف وجهها، فأبَت، فَعَمَد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها وهي غافلة، فلمَّا قامت انكشفت سوأتها فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصَّائغ فقتله، وكان يهودياً، فشدَّت اليهود على المسلم فقتلوه، فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فوقع الشرُّ بينهم وبين بني قينقاع".

وحينئذ ظهر بجلاء غدرهم وخيانتهم، فنبذ إليهم النبيُّ ﷺ عهدهم، كما أمره الله تعالى بقوله: ﴿ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ٥٨ ﴾ [الأنفال:58]، وسار متوجِّهاً إليهم على رأس جيش من المهاجرين والأنصار وحاصرهم، وذلك يوم السبت للنِّصف من شوال من السنة الثانية للهجرة، واستمرَّ الحصار خمس عشرة ليلة، فوقع اليهود في حيرة من أمرهم، بعد أن قطع النبيُّ ﷺ عنهم كل مدد، حتَّى قذف الله في قلوبهم الرُّعب، فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ في رقابهم، وأموالهم، ونسائهم، وذرِّيتهم، فأمر بهم فكُتِّفوا.

وعند ذلك، مارَسَ عبد الله بن أبيّ بن سلول دوره المعروف بالنِّفاق، فقد روى ابن إسحاق وابن هشام: " أنَّ بني قينقاع أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ، وحاربوا فيما بين بدر وأُحُد، فحاصرهم رسول الله ﷺ حتى نزلوا على حكمه. فقام إليه عبد الله بن أبي بن سلول، حين أمكنه الله منهم، فقال: يا مُحمَّد أحسن في موالي، وكانوا حلفاء الخزرج، قال: فأبطأ عليه رسول الله ﷺ، فقال: يا مُحمَّد أحسِن في موالي، قال: فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ، فقال له

رسول الله ﷺ: أرسلني، **وغضب رسول الله** ﷺ حتى رأوا لوجهه ظللاً، ثم قال: ويحك أرسلني، **قال: لا والله، لا أرسلك حتَّى تُحسن في موالي**، أربعمائة حاسر وثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر والأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إنِّي والله امرؤ أخشى الدوائر، قال: فقال رسول الله ﷺ: **هم لك**." [(1)] فأنزل الله تعالى قوله: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمۡ يَقُولُونَ نَخۡشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٞۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأۡتِيَ بِٱلۡفَتۡحِ أَوۡ أَمۡرٖ مِّنۡ عِندِهِۦ فَيُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ نَٰدِمِينَ ٥٢﴾ [المائدة:52].

وأمر بهم النبيُّ ﷺ أن يرحلوا عن المدينة، وتولَّى أمر إجلائهم عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه، فلحقوا بأذرعات (بلدة بالشَّام)، وأعلن عبادة رضي الله عنه براءته من حلفائه اليهود لمحاربتهم المسلمين، فقال: يا رسول الله إنَّ لي موالي من يهود كثير عددهم، وإنِّي أبرؤُ إلى الله ورسوله من ولاية يهود، وأتولَّى الله ورسوله. وقد أنزل الله سبحانه في موالاة عبد الله بن أبيّ لليهود، وبراءة عبادة بن الصامت منهم قرآنا، فقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَإِنَّهُۥ مِنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥١﴾ [المائدة:51]. [(2)]

4. ابن سلول يرجع بثلث الجيش في أُحُد

في الرواية: روى البيهقي في السُّنن الكبرى عن الزهري قال: خرج رسول الله ﷺ في ألف رجل من أصحابه حتى إذا كان بالشَّوط بين المدينة وأُحُد، انخذل عنه عبد الله بن أبيّ المنافق بثلث الناس، فرجع بمن اتَّبعه من قومه من أهل الرِّيَب والنِّفاق. [(3)]

(1) سيرة ابن هشام/ 2/ 561 –562،https://www.alsirah.com/، وعمدة التفسير ، 699/1، الدرر السنية، https://www.dorar.net/، بتصرف.

(2) إسلام ويب، بنو قينقاع؛ من صفحات اليهود، https://www.islamweb.net/ar/article/158924، بتصرف.

(3) الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص 283.

وعن زيد بن ثابت رضي الله تعالى عنه لَمَّا خَرَجَ النَّبيُّ ﷺ إلى أُحُدٍ، رَجَعَ نَاسٌ مِمَّنْ خَرَجَ معهُ، وكانَ أصْحَابُ النَّبيِّ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً تَقُولُ: نُقَاتِلُهُمْ، وفِرْقَةً تَقُولُ: لا نُقَاتِلُهُمْ، فَنَزَلَتْ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ ﴾ [النِّساء: 88]، وقالَ: إنَّهَا طَيْبَةُ، تَنْفِي الذُّنُوبَ كما تَنْفِي النَّارُ خَبَثَ الفِضَّةِ. (1)

5. ابن سلول في غزوة بني المصطلق

في الرواية: في غزوة بني المصطلق سنة ست من الهجرة حدث نزاع بين أجير عمر بن الخطاب، واسمه جهجاه، ورجل من الأنصار يقال له سنان بن وبرة، حيث كسح المهاجري، أي ضرب برجله، دبر الأنصاري فنادى فاشتدَّ الأمر بينهم، ونادى كل واحد على قومه. فنادى الأنصاري على الأنصار، ونادى المهاجري على المهاجرين حتى كادت أن تكون فتنة.

واستغلَّ ابن سلول هذا الموقف وطلب من قومه ألا ينفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضُّوا عنه ويتركوا دعوته. قَالَ تَعَالَى: ﴿ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران:7].

ووصف ابن سلول رسول الله بالأذلِّ، وقال لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ. وهذا هو ما قاله الله تَعَالَى: ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المنافقون:8].

عن جابر رضي الله عنه قال: غَزَوْنَا مع النَّبيِّ ﷺ، وقدْ ثَابَ معهُ نَاسٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ حتَّى كَثُرُوا، وكانَ مِنَ المُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَّابٌ، فَكَسَعَ أنْصَارِيًّا، فَغَضِبَ الأنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حتَّى تَدَاعَوْا، وقالَ الأنْصَارِيُّ: يا لَلأَنْصَارِ، وقالَ

---

(1) البخاري، (4050)، الدرر السنية، https://www.dorar.net/.

المُهَاجِرِيُّ: يا لَلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقالَ: ما بَالُ دَعْوَى أهْلِ الجَاهِلِيَّةِ؟! ثُمَّ قالَ: ما شَأْنُهُمْ؟ فَأُخْبِرَ بكَسْعَةِ المُهَاجِرِيِّ الأنْصَارِيَّ، قالَ: فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: دَعُوهَا؛ فإنَّهَا خَبِيثَةٌ. وقالَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ: أقَدْ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا؟ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ منها الأذَلَّ، فَقالَ عُمَرُ: ألَا نَقْتُلُ يا رَسولَ اللَّهِ هذا الخَبِيثَ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ، فَقالَ النَّبِيُّ ﷺ: لا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أنَّه كانَ يَقْتُلُ أصْحَابَهُ. [1]

- **الرسول لم يعاقب ابن سلول:** ولم يتعرَّض رسول الله لابن سلول بسوءٍ ولا أذى من باب سدِّ الذرائع، ولأجل الحفاظ على الدعوة لئلا يستغلَّ المشركون وآلتهم الإعلامية هذا الأمر فينشرون في الناس أنَّ محمَّداً يقتل أصحابه.
- **موقف ولد ابن سلول من أبيه:** * حدثنا ابن حُمَيد، قال: ثنا سلمة، قال: ثني محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة "أنَّ عبد الله بن عبد الله بن أُبي أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّه بلغني أنَّك تريد قتل عبد الله بن أُبيّ فيما بلغك عنه، فإنْ كنت فاعلاً فمُرني به فأنا أحمل إليك رأسه، فوَالله لقد علمَت الخزرج ما كان فيها رجل أبرَّ بوالده منِّي، وإنِّي أخشى أن تأمر به غيره فيقتله، فلا تدعني نفسي أن أنظر إلى قاتل عبد الله بن أُبيّ يمشي في النَّاس فأقتلَه، فأقتل مؤمنًا بكافر، فأدخلَ النَّارَ؛ فقال رسول الله ﷺ:" بَلْ نَرْفُقْ بِهِ وَنُحِسنْ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا." وجعل بعد ذلك اليوم إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه، ويأخذونه، ويعنِّفونه، ويتوعَّدونه، فقال رسول الله ﷺ لعمر بن الخطَّاب حين بلغه ذلك عنهم من شأنهم: "كَيْفَ تَرَى يا عُمَرُ، أما واللهِ لَوْ قَتَلْتُهُ يَوْمَ أَمَرْتَنِي بِقَتْلِهِ لأرْعَدَتْ لَهُ آنُفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ"؛ قال: فقال عمر: قد والله علمت لأمرُ رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمري. [2]

ابن سلول لم تقف عداوته للنبيّ ﷺ عند حدود المؤامرات، وإنَّما تجاوز ذلك وفعل ما لم يفعله المشركون وهو **الخوض في الأعراض**.

---

[1] البخاري (3518) واللفظ له، ومسلم (2584)، الدرر السنية، https://www.dorar.net/.
[2] تفسير الطبري، (ت: 310 هـ)، الباحث القرآني، https://tafsir.app/tabari/63/8.

6. طعن ابن سلول في عرض النبيّ ﷺ

كان رسول الله ﷺ كثيرا ما يترفّق بعبد الله بن أبيّ بن سلول تأليفاً لقلبه على الإسلام، وكان كثيراً ما يقبل عذره. لكن بالغ ابن سلول في أذاه للنبيّ ﷺ ورماه بما لم يرمِه به المشركون **حيث طعن في عرض النبيّ** ﷺ ورمى عائشة رضي الله عنها بالإفك بعد غزوة بني المصطلق.

حَديثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النبيِّ ﷺ، حِينَ قَالَ لَهَا أهْلُ الإفْكِ ما قالوا، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ، وكُلٌّ حدَّثَني طَائِفَةً مِنَ الحَديثِ، وفيهِ فَقَامَ النبيُّ ﷺ فَاسْتَعْذَرَ مِن عبدِ اللَّهِ بنِ أُبَيٍّ فَقَامَ أُسَيْدُ بنُ حُضَيْرٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ: لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ. (1)

في الرواية: (من شروح أحاديث قصة الإفك) (2)

قالَتْ: ثُمَّ قامَ النَّبيُّ ﷺ عَلى المِنبَرِ «فاستَعذَرَ»، أي: استَنصَرَ مِمَّن آذاهُ في أهلِه، وهو عبدُ اللهِ بنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ الذي كان كَبيرَ المُرْجِفين بهذه الفِريةِ -وكان ابنُ سَلولَ أحَدَ قادةِ ورُؤساءِ الخَزْرجِ-، وأقسَمَ أنَّه لا يَعلَمُ عن أهْلِه إلَّا خَيرًا، يُريدُ عائشةَ أو جَميعَ زَوجاتِه، وذكَرَ النَّبيُّ ﷺ صَفوانَ رضي الله تعالى عنه بقولِه: «وقدْ ذَكَرُوا رَجُلًا»، أي: اتَّهَموه بالفاحشةِ، "ما عَلِمْتُ عليه إلَّا خَيْرًا، وما كانَ يَدْخُلُ علَى أهْلِي إلَّا مَعِي"، وهذا كِنايةٌ عن حُسنِ خُلقِ صَفوانَ رضي الله تعالى عنه، وأنَّه ممَّن يُؤتَمَنُ ويُوثَقُ به، وحُسْنِ السِّيرةِ والسُّمعةِ عندَه وعِندَ النَّاسِ.

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا

---

(1) البخاري (6662)، الدرر السنية، https://dorar.net/.

(2) الموسوعة الحديثية شروح الأحاديث، البخاري، (6662)، (2661) و (4750).

https://dorar.net/hadith/sharh/7627، بتصرف.

وَرَسُولُ اللهِ ﷺ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا، وَسَكَتَ.

وأنزل الله فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة يبين عاقبة جرمه وافترائه على المحصَنات الطاهرات في عشر آيات تتلى من سورة النُّور. فكان أول هذه الآيات قول الله تَعَالَى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١١﴾ [النور: 11].

وفاة عبد الله بن أبي بن سلول

توفي عبد الله بن أبيّ بن سلول بعد رجوع النبيّ ﷺ من غزوة تبوك، فجاء عبد الله ولده للنبيّ ﷺ يطلب منه قميصه ليكفّنه فيه، وأن يصلِّي عليه، وأن يستغفر له، فوافقه النبيُّ ﷺ وفعل له ما أراد.

في الرواية: لَمَّا مَاتَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبَيٍّ ابنُ سَلُولَ، دُعِيَ له رَسولُ اللَّهِ ﷺ لِيُصَلِّيَ عليه، فَلَمَّا قَامَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وثَبْتُ إلَيْهِ، فَقُلتُ: يا رَسولَ اللَّهِ، أتُصَلِّي علَى ابْنِ أُبَيٍّ وقدْ قَالَ يَومَ كَذَا وكَذَا: كَذَا وكَذَا؟ أُعَدِّدُ عليه قَوْلَهُ، فَتَبَسَّمَ رَسولُ اللَّهِ ﷺ وقَالَ: أخِّرْ عَنِّي يا عُمَرُ فَلَمَّا أكْثَرْتُ عليه، قَالَ: إنِّي **خُيِّرْتُ فَاخْتَرْتُ**، لو أعْلَمُ أنِّي إنْ زِدْتُ علَى السَّبْعِينَ يُغْفَرُ له لَزِدْتُ عَلَيْهَا قَالَ: فَصَلَّى عليه رَسولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ انْصَرَفَ، فَلَمْ يَمْكُثْ إلَّا يَسِيرًا، حتَّى نَزَلَتِ الآيَتَانِ مِن بَرَاءَةٌ: ﴿وَلَا تُصَلِّ علَى أحَدٍ منهمْ مَاتَ أبَدًا﴾ [التوبة: 84] إلى قَوْلِهِ ﴿وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة: 84] قَالَ: فَعَجِبْتُ بَعْدُ مِن جُرْأَتي علَى رَسولِ اللَّهِ ﷺ يَومَئذٍ، واللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ.[1]

والتخيير الذي ذكره رسول الله هو قول الله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةٗ فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٨٠﴾ [التوبة: 80].

(1) البخاري (1366)، الموسوعة الحديثية، الدرر السنية، https://dorar.net/.

وهذا يبيّن مدى رحمة النبيّ ﷺ ومحبَّته لأنْ يشمل الله الجميع بمغفرته، لكنَّ الله بعدله ينزل كل واحد منزلته التي يستحقها.

تدريب لكل قارئ: تخيل أنك أنتَ المُطالب بحلِّ هذه العينة من مؤامرات اليهودِ وإيذاء ابن سلول. **بهدف** رفع المهارات الذاتية للارتقاء بالحياة الاجتماعية الضيقة أو الموسعة.

أحداث الفترة المدنية:[1]

أحداث السنة الأولى من الهجرة

- وصول النبيِّ ﷺ إلى قباء.
- دخوله ﷺ المدينة، ونزوله على أبي أيُّوب الأنصاري.
- تأسيس مسجد قباء.
- بناء المسجد النبوي.
- الموادعة بين المسلمين واليهود.
- المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار.
- بدء الأذان.
- إسلام عبد الله بن سلام.
- رفع الوباء عن المدينة.
- الإذن بالقتال.

(1) أفكار التسلسل الزمني مصدرها، خالد أبو صالح، موقع وذكر الإسلامي، http://aljnh.blogspot.com/، بتصرف.

خبراته:

- الاستهلال بالشُّكر والإضافة العملية للمجتمع الذي تقبَّل واحتضن الدعوة وأهلها.
- معالجة المشكلات المستوطنة للنهوض بالمجتمع وأهله الحاليِّين والمستقبليِّين.
- استخدام راقي الأساليب في الترويج الإعلاني والإعلامي.
- تأليف القلوب، ويُعدُّ من أصعب ما قد يواجه القادة في بيئة الممارسة.
- الاعتراف بخصوصيات المجتمع، ومراعاتها.
- إرساء الأمور منهجياً ومؤسَّسياً تجاوزاً للكثير ممَّا قد يكون بين المختلفين موطناً، وتنشئةً، وثقافة.
- التعايش بأسس ونظم ودستور بين الأديان المختلفة.
- اتِّخاذ مقر لإدارة شؤون الدولة والرعية، من غير انفصال بين القائد والمجتمع.

أحداث السنة الثانية من الهجرة

- غزوة ودَّان وغزوة بواط، وغزوة العشرة، وفي هذه الغزوات خرج النبيُّ ﷺ لاعتراض عيرٍ لقريش، ولم يكن فيها قتال لأنَّ العير قد سبقت.
- غزوة بحر الأولى: وفيها خرج النبيُّ ﷺ لطلب كرز بن جابر، لأنَّه أغار على أموال المسلمين بالمدينة، إلا أنَّه هرب، فلم يكن قتال.
- سريَّة عبد الله بن جحش: وفيه غَنِم المسلمون أول غنيمة في الإسلام.
- تحويل القِبلة إلى الكعبة.
- فَرضُ صيام رمضان، وقد فُرضَ في شعبان.
- وجوب الزكاة.
- غزوة بدر الكبرى: وهي يوم الفرقان الذي نصر الله فيه نبيَّه ﷺ وعباده المؤمنين، حيث خرج ﷺ ومعه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً من أصحابه، لاعتراض عيرٍ

عظيمة لقريش وهي راجعة من الشام، فعلمت قريش بذلك، فجمعت نحو ألف رجل لملاقاة المسلمين، فالتقى الفريقان، ببدر، وكان نصرًا عظيمًا للمسلمين، حيث قتلوا سبعين، وأسروا سبعين، وغنموا غنائم عظيمة.

- غزوة بني قينقاع: وهم قومٌ من يهود المدينة، نقضوا عهد رسول الله ﷺ وجاهروا بالعداوة، فحاصرهم الرسول ﷺ، فنزلوا على حكمه.
- غزوة السويق: وفيها خرج رسول الله ﷺ يريد أبا سفيان ومن معه، ولكنَّه هرب ولم يكن قتال.
- زواج عليٍّ رضي الله تعالى عنه بفاطمة بنت رسول الله ﷺ.
- دخول النبيِّ ﷺ بعائشة بنت أبي بكر.

خبراته:

- الخروج لردِّ بعض حقوق المهاجرين المغتصَبة.
- التزام العبادات بصورها المفروضة، والتي كان بعضها تطوُّعاً في مكَّة.
- مكافأة القائد بجعل القِبلة تجاه معشوقته مكَّة.
- التزام التكليف الربَّاني بالقتال.
- إدارة أول معركة فعليَّة والانتصار فيها، أسفر عن الاعتراف بالكيان الجديد وأهله، ودعا الآخرين لتحديد مواقفهم، فالمرحلة القادمة تختلف عما كان.
- إدارة وتوسعة المجتمع اجتماعياً واقتصادياً.

أحداث السنة الثالثة من الهجرة

- غزوة غطفان: وفيها خرج النبيُّ ﷺ يريد جَمعًا من بني ثعلبة وبني محارب أرادوا الإغارة على المدينة، ولكنَّهم هربوا إلى الجبال.
- غزوة بحران: وفيها خرج رسول الله ﷺ يريد بني سليم لما بلغه أنَّهم يريدون الإغارة على المدينة، ولكنَّهم هربوا وتفرَّقوا.

- غزوة أُحُد: وفيها سارت قريش لحرب المسلمين، استُشهِدَ فيها أكثر من سبعين رجلاً، وقُتل من المشركين ثلاثة وعشرون.
- وفيها شُجَّ وجه النبيِّ ﷺ وكُسِرَت رباعيَّتُه بحجر، وجُرِحَت وجْنَتَاه، وأُشيع أنَّه قُتِل ﷺ.
- وفيها قُتِلَ حمزة عمُّ رسول الله ﷺ.
- غزوة حمراء الأسد: وفيها خرج الرسول ﷺ يريد قريشًا خوفًا من رجوعهم إلى المدينة.
- زواج النبي ﷺ من حفصة بنت عمر.
- نزول تحريم الخمر.

خبراته:

- إدارة الحروب الاستباقية والردعية دفاعاً عن الرسالة وأهلها وبيئتها.
- استمرار مواجهة قريش العائدة للثأر والانتقام.
- إدارة معركة لم يلتزم بعض أبنائها بمهامهم مما أربك المشهد.
- حُسن تعامل القائد المصاب مع القلَّة الثابتة معه لقلب النتائج وتقليل الأضرار.
- درس بالتجربة أورث أهمية التزام تقسيمات العمل بدقة بمجرد التنفيذ.
- خسارة بعض الكفاءات مؤلم، ولكنَّه يلزم القائد بصناعة أجيال جديدة.
- التربية الصادقة للمؤمنين يتقدَّم فيها الالتزام الرباني على المُتع المألوفة.

أحداث السنة الرابعة من الهجرة

- بَعثُ الرَّجيع: وفيها أرسل الرسول ﷺ عشرة رجال لدعوة بعض القبائل وتعليمهم القرآن، وأمَّرَ عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، ولكن الكفار غدروا بهم وقتلوهم.

- بَعثُ القُرَّاء: حيث أرسل النبيُّ ﷺ سبعين من القرَّاء لدعوة أهل نجد، ولكنَّهم غدروا بهم، وقتلوهم قتلاً منكراً.
- غزوة بني النَّضير: فقد نقض يهود بني النَّضير العهد، وحاولوا قتل رسول الله ﷺ فحاصرهم وأجبرهم على الرحيل.
- غزوة ذات الرِّقاع: وفيها خرج رسول الله ﷺ لملاقاة قبائل نجد، ولكنَّهم هربوا وتركوا نساءَهم، وقيل حدثت في السنة السابعة.
- نزول صلاة الخوف ورخصة التيمُّم.
- زواج النبيِّ ﷺ من أمِّ سلمة.

خبراته:

- مهارات القائد في التعامل مع الغدر، ببعض فريقه، بما يحفظ عزيمة الآخرين.
- إدارة مواجهة استراتيجية الغدر بالمؤمنين بعيداً عن أرضهم.
- التعامل مع الغدر الداخلي بما يحفظ السِّلم المجتمعي وردع الآخرين عن أمثاله.
- إدارة الثغور البعيدة بما يحقِّق أمن المدينة، ومحيطها.
- إدارة مصالح المجتمع الجديد ببعض الحزم مع المعتدين يوجِّه رسالة للآخرين بأنَّهم ليسوا لقمة سائغة.
- تعليم جديد الأحكام العامَّة والخاصَّة، وما قد يكون منها لظروف معينة.
- توسعة رقعة السَّلام بالمصاهرة، والتحالفات، والمعاهدات.

أحداث السنة الخامسة من الهجرة

- غزوة دومة الجندل: وفيها خرج رسول الله ﷺ يريد جمعًا من الأعراب يقطعون الطريق، فهربوا وتركوا أموالهم.

- غزوة بني المصطلق: وتسمى المُرَيْسِيع: وفيها خرج رسول الله ﷺ لقتال بني المصطلق لتجييشهم الجيوش لحرب المسلمين، فقتل المسلمون منهم وأسَرُوا، وسَبُوا، وغَنِموا.
- زواج الرسول ﷺ من برَّة بنت الحارث سيَّد القوم، وكانت من بين الأسرى فسمَّاها جويرية وكان هذا الزَّواج سببًا في إسلام بني المصطلق.
- غزوة الخندق: وهي غزوة الأحزاب، حيث اجتمع المشركون من مشركي قريش ومشركي العرب وغيرهم، وبنو النضير، من اليهود لحرب المسلمين، وكان عددهم عشرة آلاف، بقيادة أبي سفيان، فأرادوا اجتياح المدينة، فحفر المسلمون خندقًا يحول بينهم وبين ذلك، فحاصروا المدينة خمسة عشر يومًا، ثم فرُّوا بعد أنْ سلَّط الله عليهم ريحًا شديدة، وجنودًا لم يروها.
- غزوة بني قريظة: وهم من يهود المدينة، خرج إليهم رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف رجل لنقضهم العهد، وإظهارهم العداوة يوم الأحزاب، فحاصرهم وضيق عليهم حتى استسلموا ونزل ﷺ على حكم سعد ابن معاذ في قتل الرجال، وسبي النِّساء والذُرِّيَّة.
- سريَّة عبد الرَّحمن بن عوف: إلى دومة الجندل، وانتهت بإسلام رئيسهم وكثير من قومه.
- سرية زيد بن حارثة: لاعتراض عير لقريش، فاعترضها وأخذها وما فيها، وأسَرُوا أناسًا.
- سريَّة سعد بن زيد: حيث بعثه رسول الله ﷺ لمعاقبة نفر من عكل وعرينة، كفروا بعد إسلامهم، وقتلوا راعيًا للنبيِّ ﷺ.
- إبطال عادة التبنِّي.
- نزول فريضة الحجاب.

خبراته:

- استمرار تثبيت أركان الدولة الوليدة بآليات تردع الحاقدين، والطامعين، والخصوم.
- التعامل مع قريش الخصم المستمر في غِيِّه بأجيال جديدة من العداوة.
- تعلُّم وإدارة فنون حرب جديدة.
- الحروب والتحدِّيات لم توقف العمل في تبليغ الرسالة بالموفدين وغيرهم.
- فرض هيبة الدولة وأهلها بإدارة معارك القصاص من المعتدين.
- استمرار نزول التشريع بكل جديد عموماً ومواجهة القديم المرفوض شرعاً.

أحداث السنة السادسة من الهجرة

- غزوة بني لحيان: وبنو لحيان هم قتلة عاصم بن ثابت وإخوانه غدرًا، فخرج إليهم الرسول ﷺ ولكنَّه لم يلقَ أحدًا.
- غزوة الغابة: وفيها خرج رسول الله ﷺ في طلب عُيينة بن حصن ومن معه، لأنَّهم أغاروا على أموال النبيِّ ﷺ وسلبوها، وقتلوا رجلاً من المسلمين، وقد حدث بين الفريقين بعض المناوشات.
- غزوة الحديبية: ولم يكن فيها حرب، بل تمَّ فيها الصلح بين المسلمين وقريش فيما يُعرف بصلح الحديبية.
- بيعة الرِّضوان: حدثت بعدما أُشيع من مقتل عثمان رضي الله تعالى عنه، فبايع النَّاس النبيَّ ﷺ على الموت أو عدم الفرار، فلمَّا علمت قريش بذلك، خافت وأطلقت عثمان ومن معه.
- مراسلة النبيِّ ﷺ الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

خبراته:

- تقنين محاربة الجريمة والإفساد لترسيخ الأمن عموماً.
- إقرار المتغطرس "مجلس حكم قريش" بضرورة الهدنة لالتقاط الأنفاس وتدبير الأمور.
- إدارة الصُّلح والمصالحة، والحرص على إنجاحها.
- مهارة القائد في إيصال هدفه البعيد لمن يعظِّمون الأهداف القريبة.
- التصرُّف كدولة راسخة البنيان، ومخاطبة الآخرين خارج البيئة المألوفة بالرسالة بمنطق الغيور عليهم ومن مكانة النَدِّ.

أحداث السنة السابعة من الهجرة

- غزوة خيبر: وفيها حاصر النبيُّ ﷺ حصون يهود خيبر، وهم أعظم المتآمرين على الإسلام، ففتحوا حصونهم، وغنم المسلمون منها غنائم عظيمة.
- محاولة امرأة يهودية قتل النبيِّ ﷺ بالسمِّ عن طريق الشَّاة المسمومة.
- رجوع مهاجري الحبشة بعد أن أقاموا بها عشر سنين.
- فتح فَدَك، وهو حصنٌ قريب من خيبر، وعقد الصُّلح مع أهلها من اليهود.
- الصُّلح مع أهل تيماء من اليهود على دفع الجزية.
- غزوة وادي القرى، حيث دعا الرسول ﷺ أهلها إلى الإسلام، فأبوا وقاتلوا المسلمين، فقاتلوهم، وغنموا منهم كثيرًا.
- عُمرة القضاء في ذي القعدة.
- إسلام خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص وعثمان بن طلحة.
- زواج النبيِّ ﷺ من صفيَّة بن حيَيّ بن الأخطب، سيِّد بني النَّضير.
- زواجه ﷺ ميمونة بنت الحارث، وهي آخر نسائِه زواجًا.

خبراته:

- بناء الدول والمجتمعات دونه الكثير من التحديات الداخلية والخارجية.
- تثبيت أركان المجتمع الداخلية وحفظها من الغدر، والكيد، والاغتيال.
- إدارة التِئام الشَّمل بعد التشتُّت الذي فرضه ضعف الموقف أيام مكَّة.
- إدارة المعاهدات السياسة وبدائلها المختلفة، وتوسيع مروحة المصالحات.
- إدارة موارد الدولة وتنميتها.
- إدارة مستجدِّ المعارك العسكرية بنفس توقيت إدارة المعارك الاجتماعية والاقتصادية الداخلية والخارجية.
- زيارة مكَّة بمعانيها الروحية والسياسية، واجتماع من فرَّقتهم الظروف السابقة.
- النَّجاح يجذب النجاح وكسب الكفاءات والقامات الجديدة.

أحداث السنة الثامنة من الهجرة

- سريَّة مؤتة: وفيها جهَّز الرسول ﷺ ثلاثة آلاف مقاتل لقتال الرُّوم بعد أن قتلوا رسوله ﷺ إلى أمير بصرى، وكان جيش الروم يزيد على مائة ألف مقاتل، فقاتل المسلمون قتالاً عنيدًا، وقُتل قادة الجيش الثلاثة، زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله بن رواحة، وكاد المسلمون ينكسرون لولا توفيق الله تعالى لخالد بن الوليد الذي نظَّم الجيش، وقاتل قتالاً شرسًا، ثم تراجع إلى المدينة بعد أن كبَّد الأعداء خسائر فادحة.
- غزوة فتح مكَّة: وكان سببها أنَّ قريشًا نقضت شرطًا من شروط صلح الحديبية، فدخل النبيُّ ﷺ مكَّة فاتحًا منتصرًا في عشرة آلاف مقاتل.
- إسلام أبي سفيان بن حرب، وكعب بن زهير وجماعة.
- العفو عن أهل مكَّة.

- غزوة حُنين: وفيها سار رسول الله ﷺ باثني عشر ألفًا لحرب قبيلتي ثقيف وهوازن، لأنَّهم جمعوا الجموع لحربه، فانهزم المسلمون في بادئ الأمر، لإعجابهم بكثرتهم، وثبت القليل مع النبيِّ ﷺ، وقاتلوا الأعداء قتالاً شديداً حتَّى هزموهم بإذن الله في النهاية.
- إسلام كثير من أهل مكَّة.
- قدوم وفود هوازن إلى النبيِّ ﷺ.
- رجوع النبيِّ ﷺ إلى المدينة.

خبراته:

- تسارع الإنجازات وتثبيتها لم يمنع من هفوات وهنَّات في أحيان أخرى.
- مهارة إدارة الظروف المعاكسة لتصبح مؤاتية.
- إدارة المستجدات وفتح مكَّة.
- إدارة نقاط التحوُّل المفصلية في مسيرة الدعوة.
- التحوُّل والاعتراف من المكابرين المعاندين والمحاربين بالدعوة ودخول الإسلام.
- حُسن الإدارة والرحمة في التعامل سبب دخول النَّاس أفواجاً في الإسلام.
- إدارة مرحلة استقبال الوفود المعترفة بك، والراغبة في خطب الودِّ.
- بعد هدنة الخطوب، من الجميل الاعتراف بالفضل لأهله، وتمييزهم.

أحداث السنة التاسعة للهجرة

- وجوب الحجِّ إلى بيت الله الحرام.
- سريَّة عليِّ بن أبي طالب: لهدم الفلس وهو صنم طيء، فهدمه، وأحرقه، وهزم عباده، وغنِم، وسَبَى.
- إسلام عديٌّ بن حاتم.

- غزوة تبوك: وفيها خرج النبيُّ ﷺ في ثلاثين ألفًا من أصحابه لملاقاة الروم، الذين جمعوا الجموع بالشَّام لغزو المسلمين في بلادهم، وفيها تخلَّف المنافقون وبعض المؤمنين، ولما وصل رسول الله ﷺ إلى تبوك لم يجد جيشًا، فرجع دون حرب.
- قدوم وفد تميم وثقيف.
- كتاب النبيِّ ﷺ إلى أهل الطائف، وهدم صنم ثقيف بالطائف.
- وفاة زعيم المنافقين عبد الله بن أبيِّ بن أبي سلول.
- وفاة أم كلثوم عليها السَّلام، بنت رسول الله ﷺ، وزوج عثمان رضي الله عنه.
- أمَرَ النبيُّ ﷺ أبا بكر الصدِّيق أن يحجَّ بالنَّاس.
- نزول سورة براءة، وفيها أنَّ المشركين نجسٌ، فلا يقربوا المسجد الحرام.

خبراته:

- فريضة جامعة تعلن عن مضمون الرسالة أن الجميع سواء بمشهد يقرب أحد مشاهد يوم القيامة إلى الأذهان
- جرأة القرارات الحاسمة الموضحة لمكانة الدين وأهل
- إقبال شيوخ وكبار القبائل والعشائر على الإسلام
- استقبال الوفود المقرة بالمكانة الجديدة لقائد الرسالة وأهلها
- المداراة وحسن القيادة أورثت انتهاء المرض الاجتماعي بأقل الأضرار
- تقبل القائد كبشر وكمرسل ما يكون من قضاء الله
- تكليف الكفاءات الجديد بجليل الأمور واختبارها مشاهدة
- التشريع الرباني فند وعرى آفة النفاق وحسم الكثير مما استطال

أحداث السنة العاشرة من الهجرة

- سريَّة عليٍّ بن أبي طالب إلى اليمن لدعوتهم إلى الإسلام، ولكنَّهم أصرُّوا على القتال، فانهزموا ثمَّ أجابوا إلى الإسلام، وبايعه رؤساؤهم.
- إرسال معاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري إلى اليمن لتعليم أهلها شرائع الإسلام.
- حجَّة الوداع: حيث حجَّ رسول الله ﷺ مع أكثر من مائة ألف من المسلمين وأشار إلى قُربِ وفاته ﷺ بعد إكمال الدِّين، وإتمام النِّعمة.
- وفاة إبراهيم بن النبيِّ ﷺ.

خبراته:

- شهد القائد انتشار الدعوة في مناطق بعيدة عن مركزه وسط تقبل وترحيب من أهلها.
- دخول البعض في الإسلام اعتراف بقوة القادم الجديد خاصة بعدما اتَّبعته قريش.
- وهادن البعض حرصاً على مصالحه، وخاصَّة من كانوا في ممرات عبور القوافل والجيوش.
- غير أنَّ القائد لم يترك الأمر على تسجيل الانتصارات، بل أردف كلَّ منطقة بمن يعلِّمهم دينَهم، فالهدف طاعة الله، وليس تحقيق مكاسب آنيَّة دنيويَّة.
- اتَّخذ القائد حجَّة الوداع منصَّة لتتويج تمام الأمر، ولتقبَّل الآراء المختلفة والتيسير على الناس، وأنَّ الفرق بين البشر في التقوى، لا في اللون، أو اللغة، أو القبيلة، أو التبعيَّة.
- القائد الإنسان الذي غلبت قيادته وإدارته ونهوضه برسالته من كونه إنسان يجوع ويشبع، يمرض ويتعافى، يُنجِب الذرية ويفقدها كغيره في حياته، وبعدها.
- سبقت القائد ذريَّتُه للآخرة، والوحيدة الباقية بشَّرها أنَّها لاحقةٌ به قريباً.

وفاة النبيّ ﷺ

خبراته:

- دَخَلَ القائدُ الحياة كغيره من المواليد، وعاشها مختلفاً لتشريفه بالرسالة.
- اشتدَّ عودُه، وانتهض، وأصيب، ومرِض، وانتفض إلى أن كان الأجل.
- حُسن القيادة، الاعتراف بالفراق، وبناء فرق العمل، والكفاءات القادرة على متابعة نشر الرسالة الخاتمة.
- القائد مهَّد في المعاملات **السياسة**، فكان له فيها الفطناء، وفي **الاقتصاد** كان له المميزون في الأسواق، وفي **الاجتماع** الإنساني بنى الأسرة السويَّة ووطَّد لها الأركان، وفي **الإدارة** أسَّس المؤسَّسةَ الأمّ ووضع سياسة ونهج الالتزام وحُسن صياغة مصالح النَّاس، وفي **نشر الدعوة** أتقن بناء الدعاة الواعين المُجدِّين، وفي **الحرب وحماية البلاد** أفرز قادة عقلاء، وفي **تقبُّل الآخر** الموافق أو المعارض كان نبراساً.
- ترك الرعيَّة والأُمَّة، **بأسس** عقديَّة وفكريَّة راسخة، **ورجالات** مثقلة بالخبرات، **وبدائل إدارية** مكنونها التيسير، **وعلاقات خارجية** راسخة قابلة للزيادة والبنيان، **ومصداقيَّة** الصَّادق الأمين والرَّسول الكريم، **وأمارات قادمة** تبشِّر بالكثير الواعد
- إلا أنَّه كَبَشَر جرى عليه قضاء الله، فمرض، وتوفي ﷺ.

خلاصة إدارية: بالمنظور الإداري اتَّصفت فترة المدينة؛ بوجوه الإدارة المختلفة؛ السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، والحربية، والمالية، وقبلها جميعاً التشريعية، مع نكهة استراتيجية راسخة بعيدة المدى، وبرزت القيادة الإدارية بشتَّى أنماطها وصنوفها، من التأسيس والبناء إلى الإتمام وإعداد قادة الغد. فسلَّم الأمانة لرسالة راسخة ناجحة تحتضن كلَّ مقوِّمات النَّجاح والإضافة للإنسان، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.